الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي – الأغواط –
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مـــذكـــرة مـــاستـــر

تقديم الطالبة : صورية سعادة

ميدان اللغة والأدب العربي

شعبة : دراسات لغوية

تخصص : لسانيات عربية

مظاهر الممارسة النصية
من خلال جهود محمد عبد الله دراز

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة في اللجنة
أ.د سليمان بن علي	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
د ابراهيم ميهوبي	أستاذ محاضر درجة أ	مشرفا ومقررا
أ.د جخدم فاطمة	أستاذ التعليم العالي	مناقشا

السنة الجامعية: 1444-1445 هـ 2022-2023م

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

إهداء

أهدي ثمرة جهدي:

- إلى روح والدي الطاهرة، جعل الله أجر هذا العمل في ميزان حسناته.
- إلى أمي الغالية ، أطال الله في عمرها ورزقها الصحة والعافية .
- إلى إخوتي وأخواتي جميعا أدامهم الله .
- إلى زوجي الحبيب : عبد الحميد حفظه الله ورعاه .
- إلى أبنائي فلذات الكبد : أيمن – أنيس – بشرى

(اللهم بارك فيهم واهدهم ، واصلح بالهم).

- إلى عائلة زوجي جميعا أدامهم الله .
- إلى كل من وجهني وعلمني وزودني ولو بالقليل من العلم أو الكثير.
- إلى كل هؤلاء أهدي لهم ثمرة جهدي .

صورية

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين نحمده حمد الشاكرين ونستجيب له استجابة الطائعين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

مصداقا لقول نبينا الكريم :" من لم يشكر الناس لم يشكر الله " .

- الشكر لله أولا و آخرا، وله الحمد والمنة والفضل والإحسان على أن وهبنا القوة والعزيمة على إتمام وإنجاز هذا العمل.

- الشكر موصول على من أنعم وتفضل بجهده وعلمه ووقته بتوجيهنا والإشراف

على متابعتنا ومساندتنا طيلة فترة البحث إلى أن بلغنا هذا الهدف، فله فائق التحية، وله مني عظيم الامتنان والتقدير أستاذي الفاضل الكبير

في تواضعه، العالم في علمه، الطيب في تعامله ،الرحب في صدره، الدكتور(ميهوبي إبراهيم) حفظه الله ورعاه، وجزاه الخير كله ، ونفع بعلمه وزاده نورا على نور.

- الشكر لأهل العلم أساتذتنا الأفاضل الأجلاء لجنة المناقشة

ثم الشكر لكل من ساعدني في بحثي، ومد لي يد العون والمساعدة من قريب أو بعيد وخاصة زوجي و أولادي، فجزى الله الجميع أفضل الجزاء .

مقدمة

بسم الله، والحمد لله فاتح الأبواب وملهم الحكمة والصواب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

تعد لسانيات النص من أحدث فروع الدراسات اللسانية التي أخذت على عاتقها مهمة دراسة النص، ولعل تزايد الاهتمام بها راجع إلى اهتمامها بظواهر لغوية أهملتها لسانيات الجملة، ولما كانت تبحث فيما يجعل من النص نصا، فقد كان من البديهي أن يتوجه علماؤها، في دراستهم إلى البحث عن كيفية تماسك النصوص وترابطها، مركزين بالدرجة الأولى على دراسة الآليات التي تحقق هذا التماسك.

لقد اهتدى المفسرون إلى الممارسة النصية، بحكم تعاملهم مع الخطاب القرآني، فعملهم يقوم أساسا على النظر إلى النص القرآني كاملا، فبرز منهم علماء كرسوا جهودهم لخدمته ، وحاولوا بيان وجوه إعجازه، وما تزال مؤلفاتهم شاهدة على ما قدموه في سبيل ذلك.

وعلى ضوء ما سبق، جاء بحثي موسوما ب:

" **مظاهر الممارسة النصية من خلال جهود محمد عبد الله دراز** ".

مما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع:

كون مؤلفات دراز فيها إشارات لمظاهر النصية، وكذا نقص الدراسات لجهوده خاصة في جانبها التطبيقي.

- لم أجد دراسة علمية متخصصة – فيما اطلعت – تلم شتات الموضوع، وتضم مباحثه وفق الطريقة التي عالجت بها مسائله وقضاياه.

لا تعد هذه الدراسة الأولى لجهود محمد عبد الله دراز، فقد سبقتها دراسات منها: . "**محمد عبد الله دراز وجهوده البلاغية** " **من إعداد محمد أمين أبو شهبة**" (جامعة الأزهر ،2001م)،- " **منهج محمد عبد الله دراز في التفسير من خلال كتابه النبأ العظيم من إعداد جعوان مبروكة**(جامعة أحمد دراية ، أدرار،2016)، - "دراسة **موازنة بين الباقلاني وعبد الله دراز في إعجاز القرآن من إعداد غربي صالح**(جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة ،2000م)، غير أن هذه الدراسة تختلف عن سابقاتها، فقد تناولت جهوده في اتجاه لساني نصي حديث، وهذا ما لم أجده في الدراسات السابقة.

وقد انطلقت في بحثي من إشكالية رئيسية :

كيف نظر ونظَّر محمد عبد الله دراز للمفاهيم النصية ؟.

تنبثق عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات :

- هل في التراث العربي ما يشبه المبادئ والأسس التي أرستها لسانيات النص ؟.
- ما هي الآليات التي ركز عليها علماء النص وعلماء التفسير ؟.
- ما مظاهر الانسجام النصي؟.
- ما دور المقام في تماسك النص وانسجامه ؟.

وللإجابة على هذه التساؤلات، اقتضى البحث أن تكون الدراسة في مدخل وفصلين وخاتمة. في المدخل المعنون ب :" لسانيات ما بعد الجملة "؛ تطرقت فيه إلى أهم مصطلح خاص باللسانيات النصية وهو" النص"، وتعريفاته المختلفة في الدراسات العربية والغربية، وكذا الإسهامات النصية في التراث العربي.

يلي ذلك الفصل الأول، وفيه ترافق الجانبان النظري والتطبيقي جنبا إلى جنب، كان بعنوان:" الانسجام بين لسانيي النص والمفسرين"، عالجت فيه الانسجام ومظاهره، وذلك من حيث المفاهيم، والدور الذي تؤديه هذه المظاهر في تحقيق التماسك النصي.

أما الفصل الثاني وهو أيضا (نظري تطبيقي) جاء تحت عنوان:" المقام ودوره في انسجام النص"؛ تطرقت فيه إلى مفهوم السياق ونوعيه الداخلي والخارجي، ودورهما في تحقيق تماسك النص وانسجامه.

وأخيرا خاتمة فيها عرض لأهم النتائج التي وصل إليها البحث.

وسرت بهذه الخطة مستندة على المنهج الوصفي التحليلي ، لأنه الأنسب لمثل هذه الدراسات.

نؤكد بأن الهدف من هذا البحث، ليس القول بتماسك النص القرآني– تنزه قول الله عن ذلك– وإنما الهدف الأول والأخير هو إبراز جهود دراز وإسهاماته في مجال الدراسات النصية، ومحاولة استنباط مظاهر الانسجام النصي من خلال ما عرضه في مؤلفاته .

لتحقيق متطلبات البحث، اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع منها: "النبأ العظيم، حصاد قلم، دستور الأخلاق لمحمد عبد الله دراز"،" البرهان في علوم القرآن للزركشي"،" الإتقان في علوم القرآن للسيوطي"...، وفضلا عن ذلك، اعتمدت على مؤلفات حديثة في اللسانيات النصية منها: "لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب لمحمد خطابي"،" علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق لصبحي إبراهيم الفقي"،" دلالة السياق لردة الله بن ردة الطلحي"...، إضافة إلى بعض المقالات والبحوث التي تعالج بعض أطراف الموضوع وغيرها من الكتب المثبتة في قائمة المصادر والمراجع.

وللعلم فإن الطريق لم يكن معبدا، فبحثي مثله مثل بقية البحوث واجهته بعض الصعوبات؛ لم تكن الصعوبة في المصادر والمراجع فقط، وإنما كانت في تشعب موضوع البحث وامتداده مما صعب الإلمام به، وصعوبة التعامل مع النص القرآني في حد ذاته الذي

لا يقبل الخطأ، إلا أنني بذلت قصارى جهدي في الإلمام بما يخدم البحث، ومحاولة الاستفادة والإفادة ولو بالقليل.

وفي الأخير أوجه شكري وامتناني إلى الذي كان له الفضل الأوفر– بعد الله – في الإشراف على هذه المذكرة الأستاذ الدكتور" إبراهيم ميهوبي " الذي تحمل عناء الصبر والتوجيه ، فإليه أجمل عبارات التقدير والعرفان .

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ سورة هود 88

مدخل

لسانيات ما بعد الجملة

تمهيد :

ظلت الدراسات اللسانية زمنا طويلا عند حدود الكلمة والجملة، إلى أن ظهرت بوادر دراسة جديدة، ترى أن تحليل الجملة بمعزل عن سياقها العام قاصر عن إيفاء الدلالة حقها، هذا التمحور حول الجملة دفع ببعض اللسانيين إلى التفكير في توسيع دائرة التحليل اللساني للخروج من نطاقها، فكان النص القاعدة الأوسع لاحتضانها باعتباره" وحدة كبرى لا تتضمنها وحدة أكبر منها"[1]، فظهر التحليل النصي عبر علم جديد موضوعه النص، وأصبحت اللسانيات النصية منهجا جديدا لدراسة اللغة عبر النصوص في مواقفها المختلفة، وذلك من أجل وصف وتحليل كل ما تقتضيه عملية التواصل من ربط الحدث التواصلي (النص) بكل ما يحيط به من سياقات اجتماعية وثقافية .

وإذا كان العلماء الغربيون قد انتبهوا إلى هذا النوع من الدراسة في العصر الحديث، واهتموا بالجانب التنظيري وتعاملوا مع نصوص محدودة جدا في الغالب، فإن علماء علوم القرآن والتفسير تنبهوا إليها قبلهم، وتعاملوا مع نصوص القرآن الكريم باعتبارها بنية كلية واحدة، ووظفوا كثيرا من العلوم والآليات التي تحيط بالنص الكريم من جوانب متعددة لبيان وجوه إعجازه، وكذا استكشاف قيمه الدلالية وعلاقاته الكلية، فكان منهجهم مؤهلا لأن يكون أقرب إلى النهج الذي نهجته لسانيات النص،" لكن من غير اعتقاد بأن معايير علماء النص المحدثين صالحة مطلقا لتحليل النص القرآني؛ إذ إن تلك المعايير الجزئية الحديثة إنما استخرجت في الأصل من نصوص محدودة مقيدة،" وإنما الشأن في ذلك بتصحيح ما يعتري المعايير الحديثة من نقص، وتسديدها فيما استنبطه علماء البلاغة والتفسير من النص القرآني من معايير"[2].

---

[1] – نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، جدار الكتاب العلمي، مكتبة لسان العرب، عمان (الأردن) ، ط1، 1429 هـ، 2009 م، ص 42 .

[2]– عبد الرحمن بودرع: في لسانيات النص وتحليل الخطاب نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم، بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، 1424هـ، 2013م، ص15.

أولا: النص بين التراث العربي والدراسات الحديثة:

يشكل مصطلح النص موقعا مركزيا في الدراسات اللسانية، حيث اختصت دراسات تهتم به، وكلها تتفق على ضرورة تجاوز الجملة في التحليل إلى فضاء أرحب وأوسع وهو الفضاء النصي، ومن هنا لابد من الوقوف على مفهوم النص في التراث العربي والدراسات الحديثة .

أ – النص في التراث العربي :

إن المتتبع لمصطلح " النص" في المعاجم العربية، يجد له معاني عديدة؛ فقد ورد في لسان العرب **(لابن منظور)** قوله:" النص رفعك الشيء، نص الحديث ينصُّه نصًا رفعه، وكل ما أظهر فقد نص، يقال: نص الحديث إلى فلان أي رفَعَهُ، ونصت الظِبية جيدها رفعته....، ونصَّ المتاع نصا جعل بعضه على بعض....، وأصل النص أقصى الشيء وغايته، ثم سمي به ضرب من السير سريع "[1].

يتضح من هذا أن النص في اللغة يقتضي عدة دلالات منها: الرفع والإظهار، وغاية الشيء، وكذلك نوع من السير، وجعل المتاع بعضه فوق بعض أي:(الضم والترتيب).

وما يمكن قوله أن الرفع والإظهار يعنيان أن المتحدث لابد من رفع نصه وإظهاره حتى يفهمه المتلقي، أما ضم الشيء إلى الشيء، فهي إشارة إلى الاتساق والترابط الحاصل بينهما.

وعند الأصوليين لقي مصطلح (النص) اهتماما كبيرا، وكان له حظ أوفر من الاهتمام، فأطلقوا مصطلحات عديدة تبعا لدرجات ظهور المعنى فيها وخفائه، أما الذي يرتبط بوضوح المعنى، فذلك هو الظاهر، أما الذي يرتبط بغموض المعنى، فذلك هو الخفي وهو ما ذكره **(الجرجاني)**" أن النص ما ازداد وضوحا على الظاهر لمعنى في المتكلم....، والنص مالا يحتمل إلا معنى واحدا، وقيل: مالا يحتمل التأويل"[2].

---

[1] – جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري المتوفى (711 هـ): لسان العرب مادة ضبط وتعليق خالد رشيد القاضي، دار الأبحاث ، الجزائر، ج 14 /15 ، ط1 ، 2010، ص 154.

[2] – علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة ،816 هـ، 1413 م، ص203.

والنص عند (**التهانوي**):" كل ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسنة سواء أكان ظاهرا أو نصا، أو مفسرا حقيقة أو مجازا عاما أو خاصا اعتبارا منهم للغالب، لأن عامة ما ورد من صاحب الشرع نصوص، وهذا المعنى هو المراد بالنصوص في قولهم: عبارة النص وإشارة النص، ودلالة النص واقتضاء النص"[1].

يتبين لنا أن المفاهيم السابقة تشترك في تعريفها للنص الذي يعني الظهور والوضوح والبيان.

ومما سبق يتجلى لنا أن مصطلح النص عند علماء التراث كان مرتبطا بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وأن النص القرآني حظي بدراسة نصية تامة، إذ لم يحظ نص من النصوص التراثية أهمية الباحثين والدارسين مثلما حظي القرآن الكريم بذلك.

ب- النص في الدراسات النصية الحديثة:

إن كلمة (نص) (textus) اللاتنية، آتية من فعل نص (texere) ومعناه بالعربية (نسـج)، ولذلك فمعنى النص هو(النسيج). ومثلما يتم النسج من خلال مجموعة من العمليات المفضية إلى تشابك الخيوط وتماسكها...، فالنص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض. هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة، في كل واحد هو ما نطلق عليه مصطلح نص "[2].

وهذا ما ذهب إليه أيضا الأزهر الزناد، حيث يرى أن مصطلح النص يتوفر على معنى النسيج، كما أنه ربط مفهوم النص بما تشير إليه دلالته اللغوية في المعاجم العربية القديمة، إذ يقول:" النص يطلق على ما به يظهر المعنى، أي الشكل الصوتي المسموع من الكلام أو الشكل المرئي منه عندما يترجم إلى المكتوب"[3] .

يتفق النصيون على أن النص هو:" الوحدة الدلالية الكبرى"، إلا أنهم يختلفون في تحديد طبيعته الأساسية، الأمر الذي أدى إلى تعدد تعريفاتهم له، وذلك بسبب تعدد

---

[1] – محمد علي التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة ناشرون، لبنان، ج2، ط1، ص1696 .

[2] – محمد الأخضر الصبيحي: مدخل الى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، 2008، ص 19.

[3] – الأزهر الزناد: نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993، ص 12.

التوجهات النظرية والمعرفية والمنهجية، ويعلق **أحمد عفيفي** على هذا التنوع في التعريفات بقوله:" إذا كانت آراء النحاة القدامى والمحدثين قد تعددت حول تعريف الجملة، فإن النص لم يكن أسعد حظا من الجملة في ذلك، حيث تعددت تعريفاته وتنوعت، بل تداخلت إلى حد الغموض أحيانا، أو التعقيد أحيانا أخرى"[1].

وسنحاول إيراد بعض مفاهيمه وذلك عند أشهر اللسانيين في حقل لسانيات النص:

يرى **(هاليداي)، و(رقية حسن)** أن كل" متتالية من الجمل تشكل نصا، شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات"[2]. كما أن النص عندهما يشير إلى:" أي فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها، شريطة أن تكون وحدة متكاملة "[3]. إذن فالنص عند **هاليداي ورقية حسن**، يتميز بعدة مميزات أهمها:

- كونه متتالية من الجمل تربط بينهما مجموعة من العلاقات.
- لا يتحدد بطول معين .
- لا فرق في كونه مكتوبا أو منطوقا .
- يشكل كلاما متكاملا ومترابطا .

وبهذا تكون الميزة الأساسية للنص الوحدة والترابط .

أما **(جون ميشال آدم)** يقرر كون النص" إنتاجا مترابطا ومتسقا ومنسجما، وليس رصفا اعتباطيا للكلمات والجمل وأشباه الجمل والأعمال اللغوية " [4].

يلاحظ في هذا التعريف أن المرتكز الأساسي للنص يعتمد على التماسك النصي بالدرجة الأولى.

والنص عند **(جون لاينز):** " ليس مجرد وحدات متصلة مع بعضها البعض في سلسلة، وإنما ينبغي ربطها بطريقة مناسبة من حيث السياق، وعلى النص في مجمله أن يتسم بسمات التماسك والترابط [1].

---

[1] – احمد عفيفي: اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ، مصر، ط1، 2001، ص21.

[2] – محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1999، ص13.

[3] – احمد عفيفي: نحو النص، ص 22 .

[4] – نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص، ص 10

ومن التعريفات الجامعة لمفهوم النص، ما نُقل عن **(ديبوجراند)** الذي يرى أن" النص حدث تواصلي، يلزم لكونه نصا أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف عنه واحد من هذه المعايير(السبك، الحبك، القصد، القبول، الإخبارية أو الإعلام، المقامية، التناص)"[2].

وبتوفر هذه المعايير، يصبح النص وحدة مستقلة عن مختلف البنى المكونة له، فالاتساق والانسجام يركزان على طبيعة النص ذاته، والقصد والقبول يتصلان بمستعملي النص (المنتج والمتلقي)، بينما المعايير الأخرى، تجعل النص قابلا للدراسة في ضوء اللسانيات النصية، وتوفر هذه الجوانب مجتمعة تبين القدرة التي يمتلكها المتكلم على إنتاج النص، والقدرة التي يملكها المتلقي على التفريق بين النص واللانص، وبالتالي القبول أو الرفض.

نجد هذا التعريف قد رسم حدود النص العلمية، واصفا إياها بالمعايير النصية التي تجعل النص في بوتقته الصحيحة، وبناء على تلك المعايير تُفرز النصوص الحقيقية عن غيرها؛ لأن النص كلما اشتمل على معاييره النصية، تشكل بداخله التماسك الدلالي الذي يفضي إلى الدلالة العميقة.

تقودنا هذه الوقفة على مفاهيم النص في الدراسات النصية الحديثة إلى القول: بأن مفهوم النص يتغير بتغير درجة التفكير لدى كل باحث وإلى منطلقاته الفكرية ومرجعياته المعرفية، ومع ذلك نجد معظم مفاهيم النص رغم تباينها، ترتكز على التماسك النصي والبعد التواصلي الذي يعتمد في الأساس على السياق.

---

[1] – جون لاينز : اللغة والمعنى والسياق ، ترجمة عباس الصادق الوهاب ، مراجعة يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد العراق ،ط1، 1987 م، ص219.

[2] – صبحى إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة،ج1، 2000 ، ص 33، 34.

3-الإسهامات النصية في التراث العربي:

يعد الربط بين القديم والحديث منهجا ومقوما، لدراسة الفكر الإنساني عموما واللغوي خصوصا فلا يجب أن نهمل القديم لقدمه، ونُبَجل الحديث لحداثته، ذلك أن الفكر العلمي قائم في أساسه على التراكم المعرفي.

والمتأمل في التراث العربي يدرك إدراكا تاما، أن العلماء العرب، كانوا على وعي بالظاهرة النصية، خاصة الدرس البلاغي والتفسيري، حيث انصبت دراستهم على النصوص الأدبية، وكذا النص القرآني للبحث عن وجوه الإعجاز، وكشف دقة نسجه الأسلوبي الذي منحه صفة الإعجاز.

- **عند النقاد:**

أ- الجاحظ:

قدَّم **(الجاحظ)** في كتابه "البيان والتبيين" آراء نقدية تناول فيها ذم الشعر الركِيك المفكك، الذي لا تنسجم ولا تترابط فيه ألفاظ البيت الواحد، حيث يقول:" ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر، وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض استكراه، فمن ذلك قول الشاعر:[1].

وقَبْرُ حَرْبٍ بمَكَانٍ فَقرٍ *** وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرٍ حَرْبِ قَبْرُ

أي أن معيار الجودة والحسن عند **الجاحظ** يكمن في السبك وترابط وتلاحم الكلمات والجمل بعضها ببعض، ويقول:" أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا واحدا، وسُبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدِهان"[2]، وفي موضع آخر يضيف: أن الشعر الجيد تكون أجزاء البيت فيه متفقة، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وكأن الكلمة بأسرها حرف واحد، فترابط الأجزاء عند **الجاحظ** يتمثل في ترابط: الأبيات المشكلة للقصيدة- الأجزاء المشكلة للبيت (الصدر والعجز)-الأجزاء المشكلة للشطر(الألفاظ)-الأجزاء المشكلة للألفاظ والحروف[3].

---

[1] - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 142.

[2] - المرجع نفسه : ص 142.

[3] - ينظر: المرجع نفسه: ص 143.

تبين لنا أن « **الجاحظ** » من خلال آرائه، اجتهد في إيجاد وسائل تماسك النص، وتلاحم الأجزاء، وأن البلاغيين الذين جاؤوا بعده، جعلوا من بلاغته السابقة التاريخية إرساء لقواعد لسانيات النص.

ب- حازم القرطاجني:

ألف (القرطاجني) كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) في عصر بلغ النقد فيه فهما واسعا للتراكيب، وتجاوز حدود الجملة إلى مستوى النص. اهتم حازم بالوحدة الشعرية والعلاقات والروابط بين الجمل المكونة لها، فهو" أول من قسم القصيدة العربية إلى فصول، رغم أن لها أحكاما في البناء، وأول من أدرك الصلة الرابطة بين مطلع القصيدة، وما سماه بالمقطع، وهو آخرها الذي يحمل في ثناياه الانطباع الأخير، والنهائي عن القصيدة "[1].

كما اهتم **حازم** بالتأليف والتلاؤم، فتحدث عن تلاؤم حروف الكلمة الواحدة، وكذا كلمات الجملة الواحدة، وأيضا الجمل بعضها مع بعض إلى أن تشكل وحدة منسجمة، ولم يغفل في ذلك عن الانسجام الصوتي لأهميته في الربط بين المعاني، يقول:" ومن ذلك حسن التأليف وتلاؤمه، والتلاؤم يقع في الكلام على أنحاء منها: أن تكون حروف الكلام بالنظر إلى ائتلاف بعض حروف الكلمة مع بعضها، وائتلاف جملة كلمة مع جملة كلمة تلاصقها، منتظمة في حروف مختارة متباعدة المخارج مرتبة الترتيب الذي يقع فيه خفة وتشاكل ما "[2]، ووصل اهتمامه بالانسجام إلى المستوى التداولي، حيث يرى التأثير على المتلقي مرتبطا بحسن ديباجته، وهي أمور تتعلق باللفظ والمعنى، والنظم والأسلوب، ومرتبط أيضا بالاستعداد والقابلية، والاستعداد نوعان: حال وهي النفس، والاعتقاد في الشعر أنه حكم وأنه غريم [3].

نلاحظ هنا ارتباط البعد التداولي عند **حازم** بالسياق النفسي أكثر، وهذا ما جعله يقترب في كثير من آرائه ما توصل إليه **(فانديك)** الذي يعتمد على عناصر تداولية في تحليله للنصوص. وهذا دليل على سبق جهوده علماء الغرب بعدة قرون.

---

[1] – إبراهيم خليل: الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان،ط1(1997)، ص56.

[2] – حازم القرطاجني (ت684هـ): منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تح: محمد الحبيب بلخوجة، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1981، ص222.

[3] – ينظر: المصدر نفسه، ص 121.

- **عند اللغويين**

أ- ابن قتيبة:

ألف **(ابن قتيبة)** كتاب" تأويل مشكل القرآن" في القرن الثالث الهجري، بهدف الرد على الذين طعنوا في القرآن العظيم واتبعوا ما تشابه منه، وادعوا اللحن فيه والتناقض والاختلاف وتأولوا فيه كثيرا من القضايا، حيث يقول:" فأحببت أن أنضح عن كتاب الله وأرمي من ورائه بالحجج النيرة والبراهين البينة، وأكشف للناس ما يلبسون "[1].

قام **ابن قتيبة** بتقديم حجج لهؤلاء، ثم دحضها وردها عليهم عن طريق البحث عن الدليل في الشعر وفي الحديث النبوي، ثم أدلى ذلك بحجج موضوعية، وبمنهج علمي واضح، فكانت دراسته للنص القرآني قريبة مما تعرفه لسانيات النص حديثا، فهو يرد على من ادعى على القرآن التناقض والاختلاف بفكرة انسجام القضايا الواردة فيه ووضوحها[2]، فقد طرح **ابن قتيبة** في كتابه قضية انسجام النص القرآني التي تنظر إلى السور والآيات المتباعدة نظرة متآلفة، وهي" قضية نصية خطابية، كان من الممكن أن يترتب عنها تنظير في نسق النص، غير أن النقاش البلاغي حولها وقف عند حدود الكلام"[3]، فلو اتسع مجال النظر في هذه المسألة، لكانت الدراسات اللسانية النصية هي الدرس البلاغي في ذلك الوقت.

ب- الباقلاني:

ألف كتاب" إعجاز القرآن" الذي وقف فيه على سر إعجاز القرآن، وعلى قضايا بلاغية نصية، فهو يرى في أسلوب البشر النقص والاضطراب، وعدم انسجام المعاني،

---

[1] – ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم: تأويل مشكل القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار التراث ،القاهرة، مصر، ط2، 1973، ص 23.

[2] – ينظر: نوال لخلف، الانسجام في القران الكريم، سورة النور أنموذجا، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة الجزائر، 2006 / 2007، ص 103.

[3] – محمد العمري: البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، افريقيا الشرق، بيروت لبنان، 1999، ص 154.

واختلال المباني أحيانا، وهو سبب عجز الفصحاء عن الإتيان بمثل القرآن ولو بآية، على عكس القرآن الكريم الذي تظهر منه روعة النظم وحسن السبك، فقضايا الفصل والوصل وعلاقة افتتاحية السورة بنهايتها، وبتماسكها الكلي الشامل وترابط موضوعها، مما لها مكان هام في لسانيات النص الآن.

هذه القضايا تحدَث عنها **(الباقلاني)** في القرن الخامس الهجري من خلال نظرته للقرآن الكريم نظرة شاملة، مبينا أن سر إعجازه يكمن في أسلوبه، تنبه **الباقلاني** إلى انسجام الآيات رغم تباعد مواقعها، في قوله:" تجد آيات متباعدة في المواقع نائية المطارح، قد جعلها النظم البديع أشد تآلفا من الشيء المؤلف في الأصل، ويكشف عن أوجه الخلوص من احتجاج إلى وعيد، ومن إعذار إلى إنذار، مختلفة لكنها تأتلف بشريف النظم، ومتباعدة تتقارب بعلي الضم"[1].

فنظرته تجمع بين التحليل البصير والتذوق الرفيع، فهو يستعمل المصطلحات (النظم، الضم، التآلف، التقارب)، والبلاغة وقتئذ اختصت بدراسة الأبنية ووظائفها الجمالية، واهتمت بفصيح الكلام الذي تتناسق معانيه مع ألفاظه، وتتوجه إلى تحديد كيفية التأثير في المستمع أو القارئ، والتفاعل بين أطراف الاتصال الأساسية (نص، منتج، متلقي)، وهذا التوجه من خصوصيات البحث اللغوي النصي الحديث[2].

- **عند المفسرين**

أ- **البقاعي:**

يعتبر كتاب **(برهان الدين البقاعي)**" نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، من أشهر التفاسير التي اهتمت بعلم المناسبات، ومن أبرز الكتب التي ألفت في قضايا الدراسات النصية على مستوى التطبيق في التراث العربي، وكذا من الكتب السباقة في" الربط بين الجمل في المتتالية النصية، سواء على مستوى ربط السورة الواحدة، أو ربط السورة المتتالية والمتباعدة، حتى أنه ربط سورة الناس بسورة الفاتحة، ولم يأل جهدا في

[1] – الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب (ت 403هـ): إعجاز القران، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، ص194 .

[2] – ينظر: محمد عرباوي، دور الروابط في اتساق وانسجام الحديث القدسي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في اللسانيات العامة، جامعة الحاج لخضر، باتنة،2011، ص19 .

ربط ما بينهما "[1]، يقول في حديثه عن سورة الناس:" ومقصود هذه السورة، معلول لمقصود الفاتحة الذي هو المراقبة، وهي شاملة لجميع علوم القرآن والتي هي مصادقة الله ومعاداة الشيطان، ببراعة الختام، وفذلَكَة النظام، كما كانت الفاتحة شاملة لذلك، لأنها براعة الاستهلال، ورعاية الجلال والجمال، فقد اتصل الآخر بالأول، اتصال العلة بالمعلول، والدليل بالمدلول، والمثل بالممثول "[2].

كما نجد **(البقاعي)** ركز أيضا على ربط الجمل بعضها ببعض، أكثر من عنايته بربط عناصر الجملة الواحدة، ولم يكن ذلك إنكارا منه لوجود الرابط، بل لأنه رأى أن ذلك أسهل. وعلم المناسبات عنده ليس عبثا، بل له فوائده وثمراته، فيقول:" وثمرته – يقصد علم المناسبات – الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء، بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب، فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال"[3]، **فالبقاعي** ينظر للنص على أنه ترابط الفقرات بعضها ببعض وتماسك فيما بينهما، لتكوَن وحدة نصية كلية، كما يذهب إلى أن اسم كل سورة متعلق بما يرد فيها، والعلاقة فيها علاقة تفصيل بعد إجمال.

وهكذا يتبين لنا علاقة ما قام به البقاعي مع ما هو مطروح في الدراسات النصي اليوم.

ب- السيوطي:

إن البحث في انسجام النص القرآني، يضطلع به علم المناسبة الذي يجعل للعرب والمسلمين السبق في إدراك علم النص، ويعد كتاب" الإتقان في علوم القرآن" **(للسيوطي)** من أهم الكتب في علوم القرآن التي تناولت علم المناسبة تناولا تنظيريا، بعدما أفرد لهذا العلم فصولا خاصة به.

عرف **(السيوطي)** في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) المناسبة، وبين أن خاصية التناسب في المعاني والمقاصد بين الآيات والسور، تعود إلى روابط وعلاقات فيقول في

---

[1] – عمر أبو خرمة: نحو النص، نقد نظرية وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، إربد، الأردن،2003 ، ص 48 .

[2] – برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت885هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ج2، ط1، 1415هـ ،1995، ص611 .

[3] – المصدر نفسه، ج1، ص 5.

ذلك:" ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع علاقات التلازم الذهني كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه"[1]. فهذه العلاقات التي ذكرها **السيوطي**، قد تكون واضحة بين الآيات والسور، خاصة إذا كانت على وجه التأكيد أو التفسير، أو الاعتراض، أو البدل، وقد تكون خفية يكشف الارتباط من خلال قرائن معنوية كالتضاد والاستطراد، وحسن التخلص. ولا يخلو تنظير **(السيوطي)** من تقديم مجموعة من الأمثلة التطبيقية من الآيات والسور، تدعم وتؤكد أفكاره. كما تحدث أيضا عن تناسب السور في كتابه(تناسق الدرر في تناسب السور) الذي ذكر في مقدمته أنَّ هذا الكتاب" يعد جزءا من كُلٍ أسماه(أسرار الترتيل)، تناول فيه ثلاثة عشر نوعا من علوم القرآن، خصص ستة أنواع منه للمناسبة سواء بين الآيات أو السور"[2]، وتناول فيه: علاقة الإجمال بالتفصيل بين السور، الاتحاد والتلازم.

إن الاهتمام بالتماسك النصي عند المفسرين في علوم القرآن، لم يكن الانشغال الوحيد لهم، وإنما كان جزءا من انشغال أشمل، هو فهم القرآن وفهم الوجوه التي يقع فيها الإعجاز، فقد حاولوا إظهار كيفية تماسك النص القرآني، ببيان الوسائل والعلاقات التي تجعل آياته وسوره كلا واحدا متماسك الأجزاء والوحدات، رغم اختلاف أسباب النزول وتباعد فتراته.

من خلال ما سبق ذكره، تبرز إسهامات التراث العربي واجتهاد العلماء، في إبراز كيفية تماسك النصوص الأدبية، بصفة عامة والنص القرآني بصفة خاصة، ويبدو وعيهم الكبير بتجاوز حدود الجملة إلى دراسة النصوص، وكذا الآية الواحدة إلى الآيات المتعددة والسور والربط بينها، غير أنه لم تكن هناك دراسات وافية لمعالجة النص بصفته وحدة كلية، ولكن لهم إسهامات تستحق التقدير، وتعد لبنات أساسية كبرى في بناء النص والخطاب.

---

[1] – السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911ه): الإتقان في علوم القران، تح: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د ط، ج1، 2005 ص 108 .

[2] – محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب ،ص 198 .

الفصل الأول

الانسجام بين لسانيي النص و المفسرين

أولا: مفهوم الانسجام

ثانيا: مظاهر الانسجام النصي

1- موضوع الخطاب

2- التغريض

3- ترتيب الخطاب

4- المناسبة

5- العلاقات الدلالية

أولا: مفهوم الانسجام:

أ- لغة:

ورد الانسجام في لسان العرب بالمعاني التالية: سجمت العين الدمع، والسحابة الماء تسجِمه وتسجُمه سجما وسجوما وسُجمانا، وهو قطران الدمع وسيلانه قليلا كان أو كثيرا، وانسجم الماء والدمع فهو منسجم إذا انسجم، أي: انصَبَ" [1] .

تشير معاني لفظة الانسجام في المعاجم العربية، إلى التتابع والاستمرار دون انقطاع، وقد اقترنت في التراث العربي عموما بالكلام، فقد بين **(الكفوي)** مفهومه بقوله:" الانسجام أن يكون الكلام لخلوه من العاقدة متحدرا كتَحَدُرٍ الماء المنسجم، لسهولته وعذوبة ألفاظه، وعدم تكلفه ليكون له في القلوب موقع، وفي النفوس تأثير" [2] .

ب- عند علماء لسانيات النص:

يعد مصطلح الانسجام معيارا مهما في دراسة النص، لهذا فقد حظي بكثير من الاهتمام في حقل الدرس اللساني المعاصر، حيث يسميه **(ديبوجراند)** الالتحام أو الترابط المفهومي، ويرى أن وسائل الانسجام" تشتمل على: العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص، معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف، السعى إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية، ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم" [3]. هذه المعلومات يستنبطها المتلقي من سياق الموقف، وهذا ما ذهب إليه (محمد خطابي) إن الخطاب يستمد" انسجامه من فهم وتأويل المتلقي ليس غير"[4].

---

[1] – جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، ص 1948.

[2] – أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي : الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، ط2، 1419هـ، 1994 م، ص 196.

[3] – روبرت دي بوجراند: النص والإجراء والخطاب ، تر: تمام حسان، ط 1، 1418هـ 1998 م، عالم الكتاب، القاهرة، مصر، ص 103.

[4] – محمد خطابي : لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص51.

وإذا كان الاتساق متعلقا بالبنية الظاهرية للنص، فإن الانسجام يتعلق بالبنية العميقة له، وعبر عنه سعد مصلوح بمصطلح الحبك، حيث يقول:" فإن معيار الحبك يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص، ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم، والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم"[1].

فالنص إذن عبارة عن سلسلة من المعاني المعطاة، وترابط تلك المعاني يخضع لمجموعة من الوسائل والعلاقات، التي تحقق الترابط الدلالي بين أجزائه،" ويجعل المعلومات ترتبط بعضها ببعض، فتكون وحدة موضوعية، يستطيع القارئ من خلالها اكتشاف الفكرة الرئيسية أو الموضوع العام للنص، مما يمكنه من إدراك تماسكه الدلالي".[2]

إذا كان علماء لسانيات النص قد اهتموا بالانسجام النصي، فذلك هو حال علماء القرآن والمفسرين، فبرز منهم علماء كرسوا جهودهم لخدمة النص القرآني، وحاولوا بيان وجوه إعجازه، ومن بين الوجوه الإعجازية؛ التوقف عند البيان القرآني من جهة، وإظهار الترابط الوثيق بين آيات القرآن ومختلف سوره من جهة أخرى.

وإذا بحثنا في تراثنا التفسيري فإننا لا نعدم جهودا، تحاول أن تعمق البحث في مسألة الربط، والتماسك الدلالي في النص القرآني، فقد حاول العلماء قديما وحديثا البحث عن مظاهر تماسك النص القرآني وانسجامه، برصد وسائل واستكشاف آليات الانسجام المختلفة.

ثانيا: مظاهر الانسجام النصي:

لقد اهتم علماء لسانيات النص بالانسجام، باعتباره خاصية دلالية للخطاب، تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى، وقد تعددت آليات الانسجام تبعا لتباين آراء علماء النص، ما يلي أهم وأبرز آليات الانسجام النصي.

---

[1] – سعد عبد العزيز مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1991 ص 154

[2] – عزة شبل: علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط2، 2009، ص 186.

1- موضوع الخطاب:

1-1 موضوع الخطاب عند علماء النص:

إن البحث في تقديم تعريف لموضوع النص/ الخطاب أمر في غاية التعقيد، على اعتباره مفهوما غير قار، لا يتحدد إلا من خلال النماذج المقترحة. ويقصد به" بنية دلالية تصب فيها مجموعة من الآيات بتضافر مستمر عبر متواليات، قد تطول أو تقصر حسب ما يتطلبه الخطاب، من إيجاز أو إطناب أو شرح أو تمطيط "[1]، وموضوع الخطاب أو موضوع التحاور مفهومان مترادفان عند **(فان دايك)**، ويحدد مهمته في إيراد" المعلومات السيمانطيقية، وتنظمها وترتبها تراكيب متوالية ككل شامل"[2]؛ أي عملية بحث واستكشاف البؤرة المركزية في الموضوع، عن طريق إعادة تنظيم محتويات الخطاب، بواسطتها يتم وصف انسجام الخطاب.

ومن هنا يرتبط موضوع الخطاب بالمحور الذي يدور حوله النص، وبهذا يساهم في تحقيق تماسك النص وانسجامه.

1-2 موضوع الخطاب عند علماء القرآن والمفسرين:

إذا قمنا بالبحث في موضوع الخطاب عند علماء القرآن والمفسرين، نجد تحليلاتهم وتفسيراتهم تكشف عن وجود هذا المفهوم في أذهانهم، وأكثر ما يوضح لنا ذلك عند حديثهم عن أغراض السور، فهذا (ابن عاشور) قبل بداية تفسير كل سورة يقدم لها بالحديث عن موضوعها الإجمالي، وما تنبني عليه من موضوعات فرعية فيقول:" ولم أغادرسورة إلا بينتُ ما أحيط به من أغراضها، لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورا على بيان مفرداته ومعاني جمله، كأنها فَقَرُ متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه، وتحجب عنه روائع جماله"[3]، فحين يقدم لسورة الفرقان مثلا؛ يقسمها إلى موضوعات

---

1 - محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص180 .

2 - فان دايك: النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 2000 م، ص185.

3 - محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج 1، 1984 ، ص8 .

تتمحور حولها فيقول:" أقيمت هذه السورة على ثلاث دعائم: الأولى: إثبات أن القرآن منزَّلٌ من عند الله، والتنويه بالرسول المنزل عليه ودلائل صدقه...، الدعامة الثانية: إثبات البعث والجزاء، والإنذار بالجزاء في الآخرة...، الدعامة الثالثة: الاستدلال على وحدانية الله، وتفرده بالخلق وتنزيهه عن أن يكون له ولد أو شريك..."[1]. وممن بيَّن وحدة موضوعات السور القرآنية أيضا مع تعدد القضايا التي تتضمنها "**الرازي**"، إذ يقول:" اعلم أنه سبحانه وتعالى لما تكلم في دلائل التوحيد، والنبوة والميعاد إلى هذا الموضع ﴿ **الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (27)** ﴾، فمن هذا الموضع﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (28)** ﴾ إلى قوله﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (40)** ﴾(البقرة)، أخذ في شرح النعم التي عمت جميع المكلفين وهي أربعة...، وهذا يعني أن **الرازي** كان يتصور النص القرآني– على الأقل سورة البقرة– موضوعات خطابية مرتبة بطريقة مقصودة، فمن هذا النص يمكن استخراج موضوعين خطابيين تتمحور حول الأول الآيات من 1 إلى 27 وهو (دلائل التوحيد والنبوة والميعاد)، وحول الثاني الآيات من 28 إلى 39 وهو(النعم العامة لسائر المكلفين)"[2].

من خلال ما سبق يتبين لنا: أن المفسرين كانوا على وعي تام بأن النص القرآني من حيث النظم، له موضوع رئيسي وموضوعات فرعية، تصب كلها وتخدم هذا الموضوع الرئيسي؛ أي أن غياب المفهوم عندهم لا يعني عدم توظيفه .

3-1 موضوع الخطاب عند دراز:

أشرنا سابقا إلى أن موضوع الخطاب هو المحور الذي تدور حوله متتاليات النص، أو هو القضية الرئيسية التي تتحكم في نظم النص، وكذا اتحاد أجزاء موضوع ما لدرجة

[1] – المرجع نفسه: ج 18، ص 314.

[2] – محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص 180.

ارتباط عناصره برباط وثيق يجمع بينهما، يبحث فيه عن المحور الأساس الذي تدور عليه موضوعات السورة.

قدَّم (دراز) بعض المفاهيم النظرية التي تشير لموضوع الخطاب من ذلك قوله:" أجل إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة، يحسبها الجاهل أضغاثا من المعاني حُشيت حشوا، وأوزاعا من المباني جُمعت عفوا، فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول..."[1]، وقوله أيضا:" فإن كنت قد أعجبك من القرآن نظام تأليفه البياني في القطعة منه، حيث الموضوع واحد بطبيعته، فهلُمَّ إلى النظر في السورة منه، حيث الموضوعات شتى والظروف متفاوتة، لترى من هذا النظام ما هو أدخل في الإعجاب والإعجاز"[2]، وقوله أيضا:" اعمد إلى سورة من تلك السور التي تتناول أكثر من معنى واحد وما أكثرها في القرآن، فهي جمهرته وتنقل بفكرتك معها مرحلة مرحلة "[3]، كما نجده في موضع آخر صرح بتعدد القضايا داخل السورة القرآنية الواحدة، و كذلك صرح بوحدة موضوعها العام، فمن ذلك قوله:" إن السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله، وأوله بآخره، ويترامى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة، وإنه لا غنى لمتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية"[4]، أي المعنى الرئيسي يلقي بظلاله على بقية المعاني الفرعية، بل وإن تلك المعاني تتضافر وتكون قضية كبرى للخطاب القرآني .

---

[1] – محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، اعتنى به وخرج أحاديثه عبد الحميد الدخاخني، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1417هـ ، 1997 م، الرياض، السعودية، ص 195.

[2] – المصدر نفسه، ص182 .

[3] – المصدر نفسه: ص 194 .

[4] – محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم ، ص 199.

1-3-1 نماذج تطبيقية عن موضوع الخطاب في تفسير دراز.

لم يكتف **(دراز)** بإبراز الجانب النظري في تفسيره، بل تطرق إلى الجانب التطبيقي أيضا، ففي دراسته لا يعرض إلى جملة العلاقات التي تربط بين أجزاء السور، وإنما يدرس السورة، ويعرضها عرضا واحدا يرسم به خط سيرها إلى غايتها، أي إبراز موضوعها العام.

لم يفسر **(دراز)** القرآن الكريم كله، وإنما فسر سورة واحدة (البقرة) في كتابه (النبأ العظيم)، وباقي السور المفسرة" الفاتحة، البقرة، يس، الملك، غافر، القلم، النبأ، والتكوير"، محل نظراته القرآنية التحليلية من كتابه (حصاد قلم).

وفيما يلي عرض نماذج للموضوع العام لبعض السور القرآنية:

أ- الموضوع العام في سورة الفاتحة:

اعتبر **(دراز)** أن الافتتاح بسورة الفاتحة خير ما تفتتح به الأعمال وتستنجح به المقاصد، وفي تفسيره لها قام بإبراز ثلاثة خطوط رئيسية هي: الثناء على الله ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2)**﴾، استمداد المعونة منه﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5)**﴾ استلهام الهداية منه﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6)** ﴾"[1]، ثم بيَّن سر تسميتها بالفاتحة وأم الكتاب، مبرزا في ذلك موضوعات القرآن، وحصرها في شعبتين: الحق والخير نظريا وعمليا، ورَبْطها بسورة الفاتحة، يقول **دراز**:" ولعل كثيرا منهم لا يدركون من تسميتها بالفاتحة، إلا أنها تحل المكان الأول في صدر المصحف، ولكن هلم بنا نلق على هذه السورة الكريمة نظرتين أخريين: نظرة في موادها ومقاصدها مقارنة بمواد القرآن ومقاصده، ونظرة في وجهة خطابها، مقارنة بوجهة الخطاب القرآني، وسنجد لها بذلك شأنا أهم وأعظم"[2]، ثم شرع في تحليل مقاصدها تحليلا إجماليا، مبينا في الشطر الأول من السورة: ثلاث صفات من صفات الله الحسنى﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3)**

---

[1] – ينظر: محمد عبد الله دراز : حصاد قلم ، جمع وإعداد وتحقيق احمد مصطفى فضيلة، تر: عبد الستار فتح الله سعيد، دار القلم للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط1 ،2004، ص 97.

[2] – محمد عبد الله دراز: حصاد قلم، ص 97.

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾، كل واحدة من هذه الصفات تبني ركنا من أركان العقيدة، وبعد ذلك بيَّن معرفة المؤمن رسالته الروحية﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5)** ﴾، وهي المهمة الأولى التي من أجلها خُلق، و بقي عليه أن يفكر في رسالته الإنسانية العامة، التي هي وسيلته وطريقه لتحقيق المهمة الأولى التي يبينها الشطر الثاني من السورة﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾، الطريق المعتدل الذي هو أقرب الطرق وأحسنها[1]، وفي كل هذه التحليلات التفسيرية، كان دراز يربط كل مقصد وكل مقطع ، بل كل آية بالموضوع الرئيسي للسورة، في تناسق عجيب، ألا وهو بيان الجانب الإلهي والجانب الإنساني نظريا وعلميا، فيقول:" وهكذا نرى السورة الكريمة قد انتظمت فيها المقاصد القرآنية: الجانب الإلهي: نظريا وعمليا، والجانب الإنساني: نظريه وعمليه...،كل ذلك في أوجز عبارة وأحكم نسق"[2] .

وهذا الموضوع العام لسورة الفاتحة ومقاصده [3]:

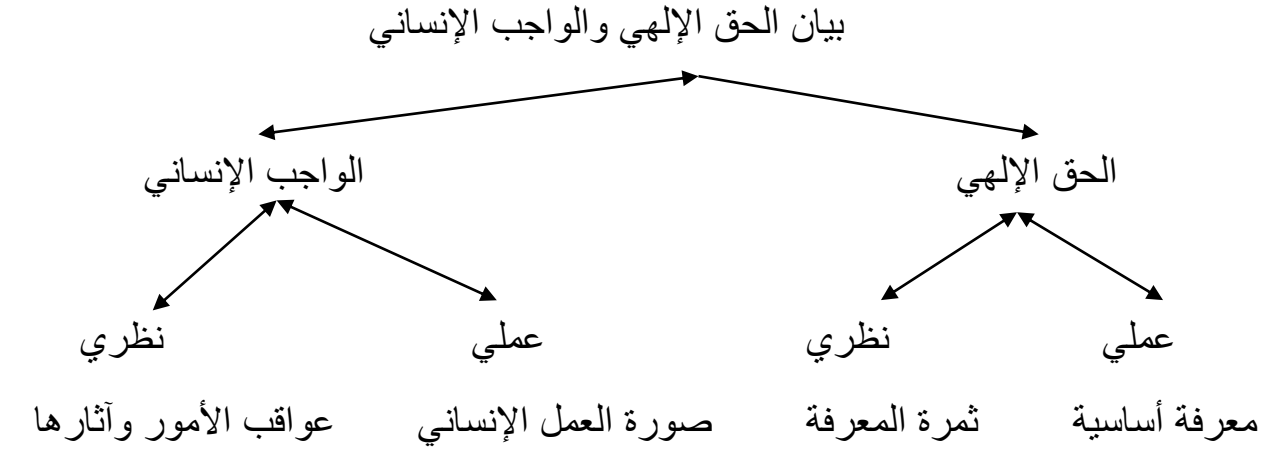

يتضح لنا أن سورة الفاتحة تشتمل على شقين نظري وعملي ويجمعها موضوع عام، على الرغم من تعدد مقاصدها.

[1] – المصدر نفسه ص 99 – 102 – 103– 104.

[2] – المصدر نفسه: ص 105.

[3] – مخطط من إعداد الباحثة صاحبة البحث .

ب- الموضوع العام لسورة البقرة:

في تفسير سورة البقرة عرَف **(دراز)** بالسورة، وأحصى آياتها، وقسمها إلى أربعة مقاصد ومقدمة وخاتمة، وأشار إلى هذا التقسيم بقوله:" بعد إرساء الأساس تكون إقامة البنيان، وبعد الاطمئنان على سلامة الخارج، يجيء دور البناء والإنشاء في الداخل"[1]، فالمقصد الأول: كان في دعوة الناس كافة إلى الإسلام، من قوله تعالى﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾(البقرة /21) إلى قوله تعالى: ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾ (البقرة/25)[2]، والمقصد الثاني في دعوة أهل الكتاب، دعوة خاصة إلى ترك باطلهم والدخول في هذا الدين الحق، من قوله تعالى﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾ (البقرة/40) إلى قوله تعالى﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ**﴾(البقرة/162)[3]، وقبل عرض المقصد الثالث، أشار دراز إلى أن" هناك شقة تستجم النفس فيها من ذلك السفر البعيد، وتأخذ أهبتها لرحلة أخرى إلى ذلك المقصد الجديد"[4] من قوله تعالى﴿ **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾ (البقرة/163) إلى قوله تعالى﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾(البقرة/177)، والمقصد الثالث كان لبسط شرائع الإسلام، من قوله تعالى:﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾(البقرة/178) إلى قوله تعالى﴿**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ**﴾ (البقرة/273). والمقصد الرابع: ذكر الوازع والنازع الديني الذي يبعث على ملازمة تلك الشرائع، وينهى عن مخالفتها في قوله تعالى ﴿ **لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ**

---

[1] – محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، ص 242.

[2] – المصدر نفسه، ص216.

[3] – المصدر نفسه: ص 219.

[4] – المصدر نفسه: ص232.

﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة/284). وبمتابعة تفسير **دراز** لمقاصد السورة نجد أنه ذكر في الأخير عنصر الإحسان بعدما سبق ذكر عنصري الإيمان والإسلام، وبهذا يظهر الربط بين هذه المقاصد الثلاثة، وفي ذلك يقول:" هكذا تناول حتى الآن: حقائق الإيمان، شرائع الإسلام، هل بقي في بنيان الدين شيء فوق هذه الأركان؟ نعم لقد بقيت ذروته العليا، وحليته الكبرى... بعد الإيمان...والإسلام...، بقي الإحسان"[1].

بهذا التحليل اكتملت الرؤية، واتضحت السورة ليكشف عن موضوعها في خاتمتها(ألا وهو: التعريف بالدعوة الإسلامية وبيان معالمها)، فهذا هو الغرض العام الذي يجمع الأحكام في سورة البقرة .

التعريف بالدعوة الإسلامية وبيان معالمها 2[2]

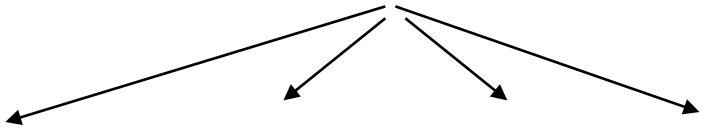

شطر الاعتقاد حقائق الإيمان شرائع الإسلام الإحسان

نخلص مما سبق إلى أن سورة البقرة مهما تعددت قضاياها، فإن لها موضوعا عاما يتعلق أوله بآخره وآخره بأوله، ويترامى بجملته على غرض واحد.

ج- الموضوع العام في سورة غافر (المؤمن) :

ذكر دراز موضوع السورة في بداية تفسيره لها، في قوله:" هي عرض لقضية النزاع والصراع، بين دعاة الحق والخير، وبين جند الشر والباطل"[3].

وبعد التمهيد بذكر الموضوع، يشرع دراز في التفصيل، فيحلل بذلك مقاطع السورة الأساسية، فكان من بين تلك المقاطع حديث القرآن عن الصراع بين سيدنا موسى وفرعون، وفي ذلك يقول:" ثم تأخذ السورة في تطبيق هذه القاعدة الكلية، فتختار مثالا من بين أمثلتها العديدة، ذلك هو موقف فرعون وملئه، حين جاءهم موسى بالآيات البَيِنَاتِ،

[1] – محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، ص261 .

[2] - مخطط من إعداد الباحثة صاحبة البحث .

[3] – محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، ص 155.

فلم ينقضوا حجته بحجة مثلها، ولكنهم أخذوا يتشاورون كيف يستخدمون سلاح القوة والعنف"[1].

وبعد العرض لمراحل الصراع والنزاع بين موسى عليه السلام وفرعون، يبين دراز في تفسيره ظهور جهة ثالثة محايدة ومناصرة للحق متمثلة في شخصية(المؤمن) في قوله:" هاهو ذا طرف ثالث يتدخل بين الطرفين بأسلوب طريف من الإقناع وتهدئة الخواطر، وقد بلغ من هذا الأسلوب أن السورة اسمها من اسم صاحبها سورة (المؤمن)، تلك هي المحاورة البارعة، بل المحاجة البليغة التي على لسان رجل من قوم فرعون شرح الله صدره للإيمان ولكنه لم يجرؤ على إعلانه فوقف وقفة المحايد المنصف، وجعل يناشد قومه:﴿ **أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ**﴾ (غافر/28)"[2].

في ختام السورة يستنبط دراز العبر المستفادة من تلك الشواهد والمواقف. وهذا الموضوع الكلي لسورة غافر ومواضعها الفرعية[3]:

النزاع والصراع بين دعاة الحق والخير

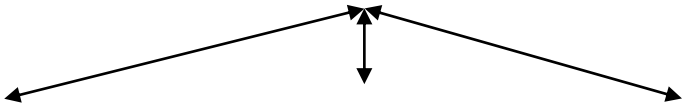

تصوير السورة إبراز شواهدها استخلاص العبر من تلك الشواهد

لعل هذه النماذج التي طرحها دراز وعلماء التفسير سابقا، تبين إدراكهم لموضوع الخطاب بدقة متناهية، تجعل نظرتهم تطابق ما أتى به علماء لسانيات النص. إذن موضوع الخطاب هو الصورة المختزلة للنص، والتي تمثل مجمل أجزائه الرئيسية؛ ذلك أن النصوص وإن طالت وتشعبت أطرافها، لا بد لها من الالتقاء في نقطة واحدة هي موضوعها الأساسي.

[1] – محمد عبد الله دراز: حصاد قلم: ص156.

[2] – المصدر نفسه: ص157.

[3] - مخطط من إعداد الباحثة صاحبة البحث .

وعليه فإن لكل سورة موضوعا عاما يشد أجزاءها، ويربط آياتها وما اشتملت عليه السورة من معان جزئية، إنما هو مشتق من الموضوع الكلي للسورة وموصول به بوجه من الوجوه، ويتضح من هذا أن نصوص القرآن تتسم بالتماسك والانسجام، وخدمة كل جزئية للإطار العام للسورة، فعمدة انسجام السورة تتجلى في الارتباط الوثيق بين قيمتها المعنوية وقيمتها اللفظية، وهذا ما يجعلها بنية متماسكة.

2- التغريض:

2-1 التغريض عند علماء النص:

يعرف **(براون ويول)** التغريض بأنه" نقطة بداية قول ما"[1]، ويقصد به" المحتوى المضمن في بداية الخطاب، ويمكن أن يكون عنوان النص، أو الجملة الأولى فيه"[2]، يفهم من هذا أن هناك علاقة وثيقة تربط بين ما يدور في الخطاب وأجزائه، وبين نقطة بدايته، وهذه البداية تعين في قراءة النص وفهمه وتأويله." والتغريض كإجراء خطابي يطور وينمى به عنصر معين في الخطاب، وقد يكون هذا العنصر اسم شخص، أو قضية ما أو حادث...، أما الطرق التي يتم بها التغريض فمتعددة نذكر منها: تكرير اسم الشخص، استعمال ضمير محيل إليه، أو تكرير جزء من اسمه، أو استعمال ظرف زمان يخدم خاصية من خصائصه، أو تحديد دور من أدواره في فترة زمنية "[3].

يرتبط مفهوم التغريض بموضوع الخطاب وبعنوانه، ذلك أن العنوان، كما يرى **(براون ويول)** وسيلة خاصة قوية للتغريض، يثير لدى القارئ توقعات قوية حول ما يمكن أن يكونه موضوع الخطاب، بل كثيرا ما يتحكم العنوان في تأويل المتلقي، وكثيرا ما يؤدي كذلك تغيير عنوان نص ما إلى تأويله وفق العنوان الجديد، بمعنى أن القارئ يكيف تأويله

---

[1] – محمد خطابي : لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 59.

[2] – خليل بن ياسر البطاشي: الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ط1، عمان، دار جري، 2009، ص 162.

[3] – محمد خطابي: لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص59.

مع العنوان الجديد في تأويل المتلقي "[1]. وبهذا يكون عنوان النص هو أول ما يواجه متلقي النص أو محلله، ومن ثم فهو نقطة مهمة تتحكم في تأويل النص وتحليله على أساس أن النص إما أن يكون مكملا للعنوان أو مفصلا أو موضحا له.

وعلى هذا الأساس فإن الربط بين العنوان والموضوع، يجعل النص متماسكا؛ فالعنوان يرتبط دلاليا بالنص، وإليه يتجه تأويل الخطاب.

2-2 التغريض عند علماء القرآن والمفسرين:

إن المطلع على مؤلفات علوم القرآن، يلاحظ فيها الكثير من الأفكار والممارسات، التي تكشف عن وعي عميق لدى أصحابها بنظرة نصية القرآن الكريم، ومن بين الأفكار والقضايا التي يطرحها علماء القرآن في مؤلفاتهم والتي تعكس إدراكهم التام لمفهوم مبدأ التغريض، ما يسمى عندهم(علاقة اسم السورة بغرضها، وعلاقة فاتحة السورة بموضوعها العام)، ومن ذلك ما أورده **(الإمام البقاعي)** ناقلا عن شيخه **(محمد البجائي)** القائل:".... هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدم إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها؛ فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن"[2]، ثم استنتج من كلام شيخه أن:" اسم كل سورة مترجم عن مقصودها، لأن اسم كل شيء يظهر المناسبة بينه وبين مسماه، عنوانه الدال إجمالا على تفصيل ما فيه "[3]، وقد أكد

[1] – محمد خطابي: لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص60.

[2] – برهان الدين البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 1، ص 18.

[3] – برهان الدين البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 1، ص 18، 19.

الإمام (البقاعي) في موضع آخر: " أنَّ من عرَفَ المرادَ من اسم السورة عرَفَ مقصودها، ومن حقق المقصود منها عرف تناسب آيها، وقصصها، وجميع أجزائها"[1].

وبهذا يكون العنوان يحمل كل معاني النص وكذا الكيفية التي انتظمت بها أفكار النص وهو ما يحقق انسجامه وتماسكه .

ومن المفسرين المحدثين الذين تجلت لديهم أفكار، وممارسات تفسيرية تؤكد وعيهم بمبدأ التغريض، المفسر **(محمد الطاهر بن عاشور)** الذي كان يتناول تسميات السورة وغرضها ووجه تسمياتها قبل تفسيرها، وقد عبر عن تمكن مفتتح النص من التعبير عن مقصوده العام ببراعة الاستهلال، فمن ذلك قوله أثناء تفسير الآية الأولى من سورة المائدة ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ** ﴾" تصدير السورة بالأمر بالإيفاء بالعقود مؤذن بأن ستَرِد بعده أحكام وعقود، كانت عقدت من الله على المؤمنين إجمالا وتفصيلا ذكرهم بها؛ لأن عليهم الإيفاء بما عاقدو الله عليه.... وذلك براعة استهلال"[2].

وهكذا يكون الإمامان **(البقاعي، ابن عاشور)** قد تطرقا لمفهوم التغريض الذي يمثل أحد مبادئ الانسجام عند **(براون ويول)**، حيث يقولان:" الشيء الذي يستهل به المتكلم أو الكاتب حديثه، يؤثر حتما في فهم كل ما يأتي لاحقا ، هكذا يؤثر العنوان في فهم النص الذي يتبعه "[3].

إن ما أوردناه من آراء لما قدمه علماء القرآن في مضمار انسجام النص، من خلال النظر لعلاقة عنوانه ونقطة بدايته بالغرض العام له، نجد تقاربا كبيرا بين ما أنتجه علماء القرآن وما وضعه علماء لسانيات النص، وهذا التطابق يدل على دقة وسبق علماء القرآن في دراسة ترابط النص وانسجامه.

---

[1] – برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، تح: عبد السميع محمد أحمد حسنين ط1، الرياض، مكتبة المعارف،1987،ج1، ص149.

[2] – محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج6، ص 74.

[3] – جوليان براون ويول: تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي، منير التريكي .د ط. السعودية: النشر العلمي والمطابع، 1997. ص 155.

2-3 التغريض عند دراز:

يمكن للناظر أن يلحظ أن **(دراز)** كانت لديه أفكار، وممارسات إجرائية لآلية الربط بين أول النص والغرض منه، فقد قال في تسميات سورة الفاتحة:" كان الافتتاح بهذه السورة الكريمة خيرا وتيمنا في الصلاة، وفي التلاوة، وفي سائر الأعمال، ولو أمعنا النظر، لوجدنا هذه السورة على إيجازها، تنطوي فيها مقاصد القرآن كله، كأن موقعها هنا في صدر المصحف موقع الفهرس الجامع لمواد الكتاب، وكأنها لذلك سميت أم القرآن"[1]. ويقول أيضا في سورة الفاتحة" إذن هي خريطة القرآن وفهرست مواده، إنها جوهرة القرآن ونواته، ولب لبابه، فهي بحق أم القرآن"[2].

فكون **(دراز)** نظر إلى موقع سورة الفاتحة وتسمياتها مصحوبة بدلالاتها، يعني أنه بالفعل مدرك لمبدأ التغريض من التطبيق الفعلي.

كما يمكن للذي يمعن نظره أيضا في صفحات تفسير **دراز** أن يلحظ بروز مفهوم التغريض عنده من خلال العنوان، وكمثال على ذلك، كلامه في وجه تسمية بعض السور بهذه الأسماء قائلا:" ولعله لو قيل إن كل حرف من الحروف التي في صدر السورة، يرمز إلى معنى مهم، يراد التنبيه عليه في أثنائها، ويكون هذا الحرف بارزا فيه، لعله لو قيل هذا لكان أقصر في الدعوة وأقرب إلى القبول، ففي سورة (ص) مثلا﴿ **وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (21) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22)**﴾ (ص)، ﴿ **إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ** ﴾ (ص/64)، ﴿ **مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (69)**﴾(ص/69)، وفي سورة (ق)﴿ **إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17)**﴾،﴿ **مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾(ق 18/17)، ولعله لمثل هذا المعنى صدرت سورة القلم بحرف(ن)، فإنها تدور على تبرئة

[1] – محمد عبد الله دراز: حصاد قلم، ص 109.

[2] – المصدر نفسه: ص105.

للنبي صلى من الجنون والفتون، وعلى تحذيره من الضجر بقومه كما فعل ذو النون عليه السلام ﴿ **وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نادي وَهُوَ مَكْظُومٌ** ﴾" (القلم 48)[1]. بالإضافة إلى ذلك تناول **دراز** بدايات السور ودلالتها البليغة لمقاصدها، وقد عبر عنها (ببراعة الاستهلال)، ومن ذلك قوله أثناء تفسيره لسورة الملك:" استهلت السورة الكريمة بكلمة من التمجيد، لا يصح في لغة العرب ولا في منطق الأشياء إسنادها إلى غير الله هي كلمة (تَبَارَكَ)، فهي كلمة تخبر عن موصوفها بأنه دائما تزايدت عظمته، وتسامى كماله على وجه الاستمرار، بحيث كلما وصل الفكر إلى تصور درجة من العظمة، زادت عليها عظمة صاحبها، وكلما ارتسم في الخيال نوع من الكمال تسامى فوقه كمال موصوفها، فهو إذا لا نهائي العظمة والكمال، وليس ذلك إلا الله سبحانه "[2].

وفي تفسير الآيات الأولى من سورة (يس):"﴿ **يس (1) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (2) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (3) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (4) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (5) لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (6) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (7) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (8) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (9) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (10) إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (11) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (12)** ﴾.

يقول **دراز**:" اثنتا عشرة آية تُستهل بها هكذا سورة (يس)، كأنها نص خطاب الاعتماد، ورد به الرسول ليتقدم به أمام أمته مختوما بخاتم مرسله ومبينا فيه كنه مهمته وحدودها، وموقفه من العقبات التي تعترض طريقها، فبقدر ما كان محمد حريصا على هداية قومه، كانوا هم حراس على الفرار منه والإعراض عنه "[3].

---

[1] – محمد عبد الله دراز: حصاد قلم، ص 194.

[2] – المصدر نفسه: ص161.

[3] – محمد عبد الله دراز: حصاد قلم، ص 149.

نستنتج أن هناك علاقة وثيقة بين السورة واسمها، معنى هذا أنه لو وُضِع اسم سورة لأخرى لم يَجُز، خاصة منها تلك المسماة بالحروف؛ لأن هناك علاقة وثيقة بين الحرف الذي بُنيَت عليه السورة وبين الألفاظ التي تتكون منها، إذ أنه لا يستقيم تغيير ذلك الحرف بحرف آخر، وإلا أدى هذا إلى اختلال التناسب.

من خلال النماذج التي قدمها **(دراز)** وعلماء التفسير، بالنظر لعلاقة اسم السورة بالغرض العام له، يوحي بأن هناك تقاربا بينهم وبين علماء لسانيات النص، وهذا التقارب بين الدراستين، يدل على سبق علماء علوم القرآن والتفسير في دراسة ترابط النص خاصة من الناحية التطبيقية.

3- ترتيب الخطاب:

3-1 ترتيب الخطاب عند علماء النص:

لا شك في أن للأحداث المرتبة في النص/ الخطاب وفق حصولها في الواقع أثر على عملية الانسجام[1]، وقد اعتبر **(فان ديك)** ترتيب الخطاب من أهم مظاهر الانسجام، ويرى أن انتظام النصوص متوقف على ترتيب الوقائع ترتيبا يتماشى مع ترتيب حدوثها في الواقع، وأكد على هذا بقوله:" إن تجانس تعلق الأحداث، يشبه أن يكون أيضا مقتضيا مجانسة التعلق في العوالم الممكنة، كالتعاقب الزمني من تتالي نقاط الزمان في العالم الواقعي "[2]، وأطلق عليه " الترتيب العادي للوقائع في الخطاب، ذلك أن ورود الوقائع في متتالية يخضع لترتيب عادي تحكمه مبادئ مختلفة على رأسها معرفتنا للعالم"[3].

3-2 ترتيب الخطاب عند دراز:

اعتمد **(دراز)** على ترتيب الخطاب، وقد صرح بذلك في مواضع كثيرة منها قوله في سرد قصة أصحاب الجنة الواردة في سورة القلم:" إنها رواية ذات فصول خمسة، أربعة

---

[1] – محمد خطابي : لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 183.

[2] – فان ديك: النص والسياق، ص 77.

[3] – محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 38.

منها تمثل تقلبات النفس الإنسانية، وانفعالاتها المختلفة، وواحد منها (يتخللها) يصور تصريف القدر، وسخريته من تدبير الإنسان "[1] مرتبة بهذا الترتيب.

اهتم (دراز) بترتيب الأحداث الواقعة في قصة " أصحاب الجنة " من الآية 17 إلى الآية 32، قام بعرض فصول هذه القصة مفصلة ومرتبة.

ففي الفصل الأول: تبييت النية على جمع حصيلة الحديقة كلها، وتدبير المؤامرة لمنع حق الفقراء فيها ﴿ **إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (17) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (18)**﴾؛ بعد أن أينعت ثمار الحديقة، وحان قطافها، كان طبيعيا أن يبيت أصحابها النية على جمع حصيلة الحديقة كلها، وتدبير المؤامرة فيها، ونسوا الله غير حاسبين حسابا لمشيئة الله وقدره، وصمموا على ألا يتركوا من الثمر شيئا للمحرومين .

وفي الفصل الثاني: نزول الجائحة لاستئصال الثمار، والقوم في بيوتهم لا يشعرون ﴿ **فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (19) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (20)** ﴾ كان القدر بالمرصاد، وأراد الله أن يعاقبهم على هذا الإثم، فنزلت بها جائحة سماوية اكتسحت ثمارها وهم في بيوتهم نيام[2].

وفي الفصل الثالث: ذكر فيه الخروج لتنفيذ الخطة المدبرة بدقة وحزم في طي الخفاء والكتمان ﴿ **فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (21) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (22) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (23) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (24) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ** ﴾ استيقظ القوم من نومهم، وهم لا يدرون ما جرى به القضاء، فأخذ بعضهم ينادي بعضا لتنفيذ ما نووا عليه قبل أن يسفر الضوء، وينتشر الناس من مساكنهم، وأخذوا طريقهم إلى حديقتهم لتنفيذ ما عزموا عليه ذلك كله، وهم لا يدرون ما فعله القدر بحديقتهم[3].

---

[1] – محمد عبد الله دراز: حصاد قلم، ص 203.

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ص 204.

[3] – ينظر: محمد عبد الله دراز: حصاد قلم ، ص 204.

وفي الفصل الرابع: كانت الصدمة النفسية عند رؤية الحديقة﴿ **فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (26) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (27)**﴾ لما رأوا الحديقة كانت مفاجئة أليمة، وصدمة عنيفة، ذهلوا منها أول مرة، حتى أنهم اعتقدوا أنهم ظلوا الطريق إلى حدائقهم[1].

أما في الفصل الخامس والأخير: فكان للوم والعتاب، والتوبة والندم ﴿ **قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (28) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (29) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (30) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (31) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (32)**﴾ كان في القوم رجل صالح خيرهم وأعدلهم رأيا، وكان ينهاهم من أول يوم، ويذكرهم بأن كيد الله غير مأمون، لكنهم لم يستمعوا لنصيحته. فلما نزلت الكارثة استيقظت ضمائر القوم واعترفوا بذنبهم بقولهم:(وما ظلمنا الله، ولكننا ظلمنا أنفسنا)[2]، ويختم **دراز** بقوله:" هذا هو تطبيق مورد المثل على مضربه من حيث العواقب والنتائج بعد أن تبين في صدر الآيات السابقة انطباقها من حيث المبادئ والمقدمات، فقد دل قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ**﴾[3].

من خلال الشرح والتحليل يتبين لنا أن **دراز** اهتم بترتيب الخطاب، واعتمد في ذلك على ترتيب الوقائع في الخطاب حسب حدوثها في العالم الخارجي.

ونخلص من هذا إلى أن الترتيب يقوم بدور أساسي في انسجام الخطاب، وكلما حدث تغير في الترتيب دون أن يحقق غرضا معينا، كان الخطاب غير منسجم.

4- علم المناسبة:

4-1 مفهومه:

اهتم العرب بالقرآن الكريم فبرز منهم علماء كرسوا جهودهم لخدمة النص القرآني، و حاولوا بيان وجوه إعجازه، فوقف المفسرون والباحثون عند سور القرآن الكريم وآياته شرحا

[1] – ينظر: المصدر نفسه، ص 205.

[2] – ينظر: المصدر نفسه ، ص 205.

[3] – المصدر نفسه: ص 206.

وتفسيرا وتأويلا، وكان هدفهم الرئيسي هو: تبيان وحدة القرآن وعدم تناقضه، لذا بحثوا عن مظاهر تماسك النص القرآني وانسجامه، برصد الوسائل واستكشاف الآليات الدالة على ذلك من خلال التناسب.

والمناسبة هي العلم الذي يدرس مناسبة الآيات والسور، وتقوم على الترابط و التماسك. يعرفها **(الزركشي)** بقوله:" ارتباط آي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني... "[1]، وعرفها **(البقاعي)** بقوله:" علم تُعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال"[2].

4-2 فائدته:

علم المناسبة أساس في التفسير لأنه يسهل فهم الآيات ويرجح بين الآراء وهذا ما يعين المفسر على الأخذ بالمعنى الراجح الذي يربط بين الآيات ويدرأ التأويلات المتعارضة مع النصوص القرآنية. وذكر **(الزركشي)** فائدة هذا العلم قائلا:" وفائدته جعلُ أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء"[3].

والمناسبة علم شريف ؛ ويُذكر أن أول من ألفَ في هذا العلم كان(**أبو بكر النيسابوري)**، حيث وضع اللبنات الأولى لهذا العلم من خلال تفسيره للقرآن الكريم، وأثناء تفسيره للقرآن يذكر الحكمة من وضع السورة بجانب السورة الأخرى يقول **(الحسن الشهرباني)**:" أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام **(أبو بكر النيسابوري 261 هـ)**...، وكان يقول:" وما الحكمة في جعل هذه السورة

---

[1] – بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، 2006 ، ج1، ص 37.

[2] – برهان الدين البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات،ج1، ص 5.

[3] – بدرالدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن،ج1، ص36.

إلى جنب هذه السورة ؟ "[1]". كل هذا يؤكد إدراك هؤلاء العلماء القدامى لقضية المناسبة، ومن ثم توظيفها في الكشف عن كيفية انسجام السور القرآنية وترابطها حتى تعطينا وحدة دلالية .

3-4 علم المناسبة وتقاطعه مع الدرس اللساني النصي الحديث :

لقد تجاوز علماء القرآن لا سيما في مبحثهم علم المناسبة، الكشف عن آليات الترابط داخل الآية الواحدة إلى الآيات والسورة الواحدة إلى السور المتعددة، ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام، التنبيه إلى بعض المباحث التي تطرق لها العلماء في درس المناسبة كالمناسبة بين الآيات، والمناسبة بين السور، مناسبة المطلع بالخاتمة...، وهي ظواهر تحقق التناسب، وتسعى لتوضيح ما بين أجزاء الخطاب القرآني من روابط ومناسبات.

هذه الاجتهادات يمكن اعتبارها ممارسات نصية، خاصة أن علم المناسبة يبحث في كيفية تماسك النصوص وانسجامها، وهذا أيضا ما تبحث عنه لسانيات النص، على الرغم من عدم التطرق إليها من قبل الباحثين والمهتمين بلسانيات النص، وقد اشترط الفقي وجود علاقة بين المتناسبين، قد تكون هذه العلاقة ظاهرة، وقد تكون غير ظاهرة تبحث عن الدعامة التي يمكن أن تجمع بينهما، إذا علم ذلك، فالمناسبة توصل إلى العلاقة، وهذه العلاقة بدورها تقتضي مرجعية من أحد المتناسبين الى الآخر، وإذا تحققت هذه المرجعية تحقق التماسك بينهما، أي وفق الشكل التالي[2]:

المناسبة ← العلاقة ← المرجعية ← التماسك

من خلال ما سبق يتبين وجود تقاطع بين المناسبة كعلم كانت لبناته الأولى قد وضعت في القرون الأولى من الهجرة، وبين لسانيات النص كعلم حديث، إذ لا يخْفَى علينا مدى الارتباط الوثيق والأهمية الكبيرة لوظيفة المناسبة،" إذ أنها تسهم في تحقيق

[1] – الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 36.

[2] – ينظر: صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص 99.

الارتباط بين عناصر النص، وهذا ما نعنيه بالتماسك النصي"[1]، وهذه هي المهمة الأولى والرئيسية التي أقيمت من أجلها لسانيات النص، وهنا تظهر العلاقة القائمة بين المناسبة والتماسك النصي وإسهامها في التحليل النصي.

4-4 المناسبة عند محمد عبد الله دراز

قدم **(دراز)** العديد من المفاهيم الأساسية لعلم المناسبة، وأيضا النماذج والتطبيقات.

عرّف المناسبة بين آيات القرآن بقوله:" هو تناسق أوضاعها وائتلاف عناصرها، وأخذ بعضها بحجز بعض، حتى إنها لتنتظم منها وحدة محكمة لا انفصام لها"[2]، وانتقد بعض العلماء المسلمين أنهم" جعلوا من مختاراتهم مجرد جمع لمواد متفرقة لا تربط بينها روح قرابة، ولا يظهر فيها أي تسلسل للأفكار"[3]، وكان **(دراز)** يكثر من ذكر الروابط بين آيات القرآن وسوره، على أوجه متنوعة و مؤكدا أن هذا الترابط العميق بين" الأحاديث المختلفة المعاني، المتباعدة الأزمنة، المتنوعة الملابسات في حديث واحد مسترسل هو مظنة التفكك والاقتضاب، ومظنة المفارقة والتفاوت "[4]، ومن هنا تنوعت أوجه المناسبات في كتبه وفي مؤلفاته القرآنية، فمنها التناسب بين الحروف، والتناسب بين الآيات، والتناسب بين المقاطع، التناسب بين الفواصل....، وسنقتصر على بعض النماذج .

4-4-1 مظاهر المناسبة عند دراز :

أ- مناسبة أول الآيات وآخرها في مقطع واحد:

تنبه **(دراز)** إلى وجود تناسب بين أول الآية وآخرها من نفس المقطع، فمثلا في سورة القلم قوله تعالى:﴿ **وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (11) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (13) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (14) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ**

---

[1] – صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ص 99.

[2] – محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، ص 180.

[3] – محمد عبد الله دراز: دستور الأخلاق في القرآن ،دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، تح : عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة، دار البحوث العلمية ، ط 6، 1405هـ، 1985 م، ص 07.

[4] – محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، ص183.

آَيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (15) سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (16)﴾ (القلم)، يقول في ذلك:" بدأت هذه الصفات، وضمت كما ترى بما هو تفريط في حق الله خاصة: ففي البداية ذم لكثرة الحلف بالله، وفي النهاية نص على مقابلة نعمته بتكذيب آياته، أما سائر المساوئ النفسية والاجتماعية فقد سردت فيما بين الطرفين، هذا الأسلوب في تعظيم حق الله، وتأكيد حرمة مخالفته مرتين: مرة في فاتحة الحديث، ومرة في خاتمته "[1]، ونظير ذلك أيضا ما جاء في سورة المؤمنين بدءا وختاما من قوله ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾ إلى قوله ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**﴾ (المومنون9/1)، قد بدئت السورة بأوصاف المؤمنين بأنهم في صلاتهم خاشعون، وختمت بأنهم على صلاتهم يحافظون، يقول **دراز**:" ولا شك أن تأكيد حق الله هكذا في البدء والختام يرجع صداه تأكيدا لحق العباد المندرج في تضاعيف السياق".[2]

ب- مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها:

إن ارتباط بداية السورة بخاتمتها، يوحي بتماسك وارتباط أجزائها من البداية حتى النهاية مهما اختلفت، وتعددت المواضيع الجزئية التي تحدثت عنها. من أمثلة ذلك: التناسب بين فاتحة سورة البقرة وخاتمتها، يقول تعالى: ﴿ **الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)** ﴾ (البقرة5/1)، وفي تفسير دراز لسورة البقرة، ذكر في مقدمتها أنها تنويه بشأن هذا الكتاب، وبيان أن ما فيه من الهداية قد بلغ حدا من الوضوح لا يتردد فيه ذو قلب سليم، و إنما يعرض عنه من لا قلب له، أو من كان في قلبه مرض، وأنه بشارة لمن يتقبله، ونعي على من يعرض عنه[3]، وختمت سورة البقرة بقوله تعالى﴿ **آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ**

[1] – محمد عبد الله دراز: حصاد قلم، ص 201.

[2] – المصدر نفسه: ص 201.

[3] – ينظر: محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، ص 204.

وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ(286)﴾(البقرة).

وبعد تمام الحديث عن السورة الكريمة قال **(دراز)**:" فهل تعرف كيف طويت صحيفة هذه السورة وكيف أعلن ختامها؟، لنعد بذاكرتنا إلى الآيات الخمس التي افتتحت بها سورة البقرة؛ لنرى كيف تتجاوب تلك المقدمة مع هذه الخاتمة؛ ثم كيف يتعانق الطرفان هكذا ليلتحم من قوسيهما سور محكم يحيط بهذه السورة، فإذا هي سورة حقا، أي بنية محبوكة مسوَّرَة ..."[1].

لقد كان مطلع سورة البقرة وعدا كريما لمن سيؤمن بها ويطيع أمرها بأنهم أهل الهدى وأهل الفلاح، وكنا نترقب صدى هذا الوعد، إننا ننتظر الآن أن تحدثنا السورة: هل آمن بها أحد؟، وهل اتبع هداها أحد؟، ننتظر منها إن كان ذلك قد وقع، أن تحدثنا عن جزاء من استمع واتبع ....، وهكذا سيكون مقطع السورة :

1- بلاغا عن نجاح دعوتها:﴿ **آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ** ﴾(البقرة/285).

2- وفاء بوعدها لكل نفس بذلت وسعها في اتباعها:﴿ **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾

3- فتحا لباب الأمل على مصراعيه أمام هؤلاء المهتدين. فليبسطوا إذا أكُفَّهم مبتهلين: **ربنا... ربنا... ربنا ... أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين** ﴾ (البقرة/286)[2].

وبهذا تكون الخاتمة إعلانا عن تحقيق البشارة التي بدأت بها السورة، وهي بشارة الهدى والفلاح لمن سمع وأطاع. وهذا ما أثبته **دراز** في تفسيره بوحدة السورة الكريمة

[1] – المصدر نفسه : ص 262.

[2] – ينظر: محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم ، ص 263.

وتماسكها وتناسب المقدمة والخاتمة وإن كثرت قضاياها، حيث جعل منها باقة واحدة ملونة نضيدة يعجز الناظر والمتأمل أن يجد خللا فيها.

ج- مناسبة فاتحة السورة بخاتمة ما قبلها:

وهذا مظهر آخر من مظاهر المناسبة التي تؤكد النظرة الشاملة للنص القرآني، و المتأمل في القرآن يدرك وبشكل واضح، أن افتتاح كل سورة يكون في غاية المناسبة لما ختم به السورة التي قبلها، كالتناسب بين سورتي الفاتحة و البقرة، يقول **(دراز)**" كان ختام سورة الفاتحة تعبيرا بلسان حالهم عن تعطشهم والتماسهم لهذا الدستور السماوي في قوله تعالى ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ (الفاتحة/6)، فجاء استهلال سورة البقرة يبشرهم أن قد استُجِيبَت، وأن الهدى الذي طلبوه هو الآن بين أيديهم﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ** ﴾(البقرة2)"[1]، أي لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب، يقول **دراز:**" فالقرآن كله بعد الفاتحة هو الهدى المطلوب في الفاتحة، وسورة البقرة أكبر نموذج من ذلك الهدى"[2].

ونجد مثل هذا التناسب أيضا بين سورتي الواقعة والحديد كافتتاح سورة الحديد بالتسبيح، فإنه مناسب لختام سورة الواقعة بالأمر به، إذ يقول **دراز:**" أنظر مثلا إلى سورة الواقعة المكية كيف خُتمتْ بقوله تعالى ﴿**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ**﴾ (الواقعة/96)، وكيف حسُنَ مجيء سورة الحديد المدنية بعدها حيث تُفتتحُ بقوله:﴿ **سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ (الحديد/1) "[3] .

وهذا النوع من التناسب يسميه (دراز)" ضرب آخر من الانسجام يصح أن نسميه نظام السلالم أو أسلوب الحال المرتحل"[4]، ويقصد به أن يكون المعنى الذي انتهت به

---

[1] – محمد عبد الله دراز: حصاد قلم، ص 111.

[2] – المصدر نفسه: ص111.

[3] – محمد عبد الله دراز: حصاد قلم، ص55.

[4] – المصدر نفسه: ص 55.

سورة من السور هو نفسه المعنى الذي يفتتح السورة التي تليها. جاء التناسب في هذه السور دلاليا جمع بين مناسبة الآية وما يربطها بالسور السابقة واللاحقة لها أيضا.

يتضح من هذا أن المناسبة بين خاتمة السورة وفاتحة ما تليها أهمية كبيرة في تحقيق الانسجام بين سور القرآن الكريم .

د- التناسب بين سورتين متجاورتين:

نوه **(دراز)** إلى خاصية مهمة وهي تناسب السور في القرآن بترتيبها، حيث يرى أنه يتم ترتيب السور في المصحف لأسباب عدة، من بينها توازن واتفاق أغراض السور بعضها ببعض، فالتناسب قد يكون بين سورتين متجاورتين مطْلعًا و خاتمة، كما في سورتي (الأحقاف) و(محمد) يقول **دراز**:" فليقرأ حضرته أول سورة محمد ﴿ **الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ** ﴾ (محمد/1)، وليقرأ صدر السورة التي قبلها إلى قوله ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** ﴾ (الأحقاف/05)، وليقل لنا: أين المفارقة بين هذين الحديثين؟ ثم ليقرأ في ختام سورة الأحقاف قوله تعالى ﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (35)** ﴾ (الأحقاف)، وفي ختام سورة محمد قوله تعالى:﴿ **هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (38)**﴾ (محمد)، ثم لينظر هل يرى أحسن من هذا تقابلا بين البدايتين وتوازنا بين النهايتين، وهل يرى في إحكام هذا النسق إلا سورة أخرى من صنع الذي أتقن كل شيء ".[1]

رأينا كيف حصل الترتيب بين هذه السور في أحسن ترتيب، وكيف تناسبت أغراض السور السابقة باللاحقة، وهذا راجع إلى السياق الذي له دور كبير في بيان كيفية تماسك السور القرآنية بعضها مع بعض.

[1] – محمد عبد الله دراز: حصاد قلم، ص 48.

هذه الأنواع من المناسبات وغيرها التي تطرق لها **دراز**، تؤكد رصانة النظم القرآني، وانسجام مقاطعه، وتناسق مضامينه، وخلوه من كل شائبة تؤثر في تماسكه لفظا ومعنى.

وبعد هذا العرض لقضية المناسبة، تبين لنا دورها الكبير في تحقيق التماسك النصي، سواء على مستوى السورة المفردة، أو على مستوى السور المتعددة، وهي بهذه الوظيفة تمثل وسيلة من أهم وسائل التماسك النصي، وهذه النتيجة تملي علينا إضافة المناسبة إلى الأنماط المحققة للتماسك النصي؛ فقد غفل علماء النص عن هذه الوسيلة، على الرغم من أهميتها القصوى في تحقيق التماسك وانسجام النص القرآني رغم تفرق نزوله حسب الوقائع والأحداث[1].

إذن المناسبة من أهم العوامل التي تسهم في تحقيق التماسك النصي من ناحية، ومن أهم الأسباب التي تبين إدراك علمائنا القدماء للتحليل النصي بصورة تقترب كثيرا من التحليل المعاصر، بل تفوقه في الجزء الخاص بالمناسبة .

5-العلاقات الدلالية:

5-1عند علماء النص:

العلاقة بين أجزاء الخطاب من آليات التماسك النصي، لأنها تشكل نوعا من الترابط فيما بينها يضمن التحامها وانسجامها،" وهذه العلاقات لا يكاد يخلو منها نص يحقق شرطي الإخبارية والشفافية، مستهدفا تحقيق درجة معينة من التواصل، سالكا في ذلك بناء اللاحق على السابق، بل لا يخلو منه أي نص يعتمد الربط القوي بين أجزائه"[2]، فتعمل هذه العلاقات على تنظيم الأحداث والأعمال داخل بنية هذا النص / الخطاب، وتجمع بين أطرافه، وتربط بين متوالياته دون بدو وسائل شكلية تُعتمد في ذلك عادة[3]. الخطاب كلٌ موحَّد متجانس، يخضع لترتيب وتنظيم معين يجعله منسجما ومتماسكا، وكان لتحقيق ذلك، لا بد من علاقات كالإجمال والتفصيل، و العموم والخصوص ... .

---

[1] – صبحي ابراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ص 185.

[2] – محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 269.

[3] – ينظر: المرجع نفسه ، ص 268.

5-2 عند دراز:

اعتنى المفسرون بأنواع العلاقات القائمة بين الآيات المتجاورة أو المتباعدة، وهي علاقات تتجاوز النظر إلى الارتباط الشكلي إلى ما هو أبعد و أعمق.

اهتم (دراز) بهذه العلاقات أيضا ودورها في انسجام النص، فنجده يؤكد على وجود روابط ترتكز على النظرة الشاملة الكلية للسورة، وفي ذلك يقول:" بل إنها تلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظمان عند المفصل..."[1]، إلى جانب ذلك نجد **دراز** يفصل في تلك العلاقات بقوله:" ترى القرآن يعمد تارة إلى الأضداد يجاور بينها فيخرج بذلك محاسنها ومساويها في أجلى مظاهرها، ويعمد تارة أخرى إلى الأمور المختلفة في أنفسها من غير تضاد فيجعلها تتعاون في أحكامها، يسوق بعمقها إلى بعض مساق التنظير أو التفريغ، أو الاستشهاد أو الاستنباط أو التكفيل أو الاحتراس...، فإن لم يكن بين المعنيين نسب رأيته يتلطف في الانتقال من أحدهما إلى الآخر إما بحسن التخلص والتمهيد ، وإما بإمالة الصيغ التركيبية على وضع يتلاقى فيه المتباعدان"[2]. ويشير **دراز** إلى أن" كل هذه الوجوه من العلاقات وجوه حسنى لو نظر إليها من أحد المعاني لأغنى بعضها عن بعض في إقامة النسق"[3].

5-3 أنواع العلاقات الدلالية عند دراز:

5-3-1 علاقة الإجمال والتفصيل:

تعد من أبرز العلاقات الدلالية، لكونها تضمن اتصال المقاطع النصية ببعضها البعض بفضل ما تمنحه هذه العلاقة من استمرارية دلالية بين مقاطع النص.

والمتأمل في تفسير **(دراز)** يلمح العديد من مواضع الإجمال والتفصيل، يظهر هذا في تفصيل معان كانت قد أجملت من قبل، فهذه بعض من النماذج :

---

[1] – محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، ص 195.

[2] – المصدر نفسه ، ص 202.

[3] – محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم ، ص 202 .

تفصيل الحديث عن بني إسرائيل في آيات عديدة من سورة البقرة بعد أن أُجْمِل ذكرهم ، يقول **دراز**:" بدأ الكلام معهم بآية فذة﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾ (البقرة/40)، وهي على قلة كلماتها جامعة لأغراض الحديث كله؛ ففيها يناديهم بأحب أسمائهم وأشرف أنسابهم ويذكرهم بسابق نعمة الله عليهم إجمالا، ويبني على ذلك دعوتهم إلى الوفاء بعهدهم، ويرغبهم ويرهبهم"[1]، ثم رجع دراز إلى هذه الأغراض، يفصلها على تدرج وبقدر معلوم فشرح العهد الذي طلب منهم الوفاء به في قوله تعالى:﴿ **وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (41) وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (42) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (43) أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (44) وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (45) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (46)**﴾ ، ثم بيّن مقدار النعمة التي امتن بها عليهم في قوله تعالى﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (47)**﴾، وأخيرا بيّن مقدار المخافة التي خوفهم منها في قوله﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ(48)**﴾"[2].

إن ما يلفت الانتباه في معالجة النص القرآني على ضوء علاقة الإجمال والتفصيل هو أن **(دراز)** يتصوره نصا محكم البناء متلاحما ومنسجما.

وهذه العلاقة الدلالية من العلاقات التي وفرت للنص القرآني المحكم خاصية الانسجام، وتفصيل المجمل إذن من ملامح الانسجام التي تتبين كل سورة معها وحدة من وحدات الخطاب القرآني المترابط.

5-3-2 علاقة التمهيد وحسن التخلص:

[1] – المصدر نفسه، ص 220.

[2] – محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم ، ص 220.

اعتمد (دراز) كثيرا على هذه العلاقة، حيث يقدم تمهيدا فيه استراحة للانتقال بين مقصدين متباعدين، كما يتخلص أيضا بين قضيتين متتاليتين بحرف أو جملة، فمن أمثلة التمهيد عنده، الفصل بين الحديث عن بني إسرائيل إلى تفصيل الشرائع الإسلامية بمدخل من قوله تعالى:﴿ **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (163) إلى قوله ﴿ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177)**﴾(البقرة)، وهذا المدخل عدَّهُ **دراز** بمثابة الدهليز بين الباب والدار يقطعه السائر في ثلاث خطوات: وحدة الخالق المعبود، ووحدة الآمر المطاع، وإجمال الشرائع الدينية [1]، وبعد أن فصَّل فيها حدَّدَ الغرض من هذا المدخل بقوله:" لكن القرآن، وقد وضع على أدق الموازين البيانية، وأرفقه بحاجات النفوس، لم يشأ أن يهجم على المقصود مكتفيا بهذا التمهيد، بل أراد أن يقدم بين يديه شقة تستجم النفس فيها من ذلك السفر البعيد وتأخذ أهبتها لرحلة أخرى"[2]؛ معنى هذا أن (دراز) جعل هذا المدخل حلقة اتصال بين دعوة إسرائيل إلى الإسلام وعرض شرائع الدين، وكمقدمة لابد منها قبل الشروع في تفصيل الأحكام العملية لتكون توجيها للأنظار، وتهيئة للنفوس في تلقي الخطاب في شأن أحكام الشريعة.

ومن أمثلة حسن التخلص عند **(دراز)** الربط بين مقصدي الإيمان والإسلام، في قوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177)** ﴾(البقرة) يقول **دراز**:" انظر إلى حسن التخلص في ربطه بين المقصد القديم، والمقصد الجديد على وجه به يتصلان لفظا، و به ينفصلان حكما، فهو في جمعها لفظا كأنه يضع إحدى قدميك عند آخر الماضي، وثانيتها عند أول

[1] – المصدر نفسه: ص 232.

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ص 241.

المستقبل ولكنه في تقريرهما حكما بأداتي النفي والاستدراك كأنما يحول قدميك جميعا إلى الأمام".[1]

معنى هذا أن فهم حسن هذا التخلص في الانتقال من المعنى القديم إلى المعنى الجديد هو إدراك جمال هذه الأوضاع الهندسية التي تناسقت بها المعاني السابقة واللاحقة وإزالة شبهة الانتقال، غير أننا إذا قسنا هذه النقلة بين المعنيين، نرى هذا التمهيد قصيرا وهذا التحول سريعا، وأنه مقصود، وعلينا أن نحس بأثر هذا التحول السريع الذي من ورائه مغزى.

من خلال ما سبق يتبين لنا كيف ساهمت هذه العلاقة في الربط بين مقاصد السورة، وما لها من أثر كبير في انسجام النص القرآني .

5-3-3 علاقة التفريع:

نلاحظ هذه العلاقة في بداية تفسير **(دراز)** لسورة البقرة، ذلك عندما بيَّنَ دلالة الأحرف الثلاثة الأولى من السورة بقوله:" بُدئت السورة الكريمة بثلاثة أحرف مقطعة لا عهد للعرب بتصدير مثلها في الإنشاء و الإنشاد؛ وإنما عَهَدوها من القُرَّاء الكاتبين في بدء تعليمهم التهجي للناشئين (ا. ل. م)"[2]، ثم شرع في بيان وتفسير تلك الحروف في قوله: وألحقت بهذه الأحرف الثلاثة جمل ثلاث : أما أولاهن فإعلان للسامع أن ما سيتلى عليه الآن هو خير كتاب أخرج للناس، وأنه ليس في الوجود ما يصلح أن يسمى كتابا بالقياس إليه ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ**﴾، وأما الأخريان فيدعمان هذا الحكم بالحجة والبرهان، فذلكم القرآن هو جماع هذه الفضائل الثلاث: فهو الحق الذي لا باطل فيه، ثم هو بعد ذلك الهدى المبين الذي يخرج الناس من الظلمات إلى النور﴿ **لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى** ﴾[3] .

هذا البيان والتفسير لموقع الجمل الثلاث بعد تلك الأحرف الثلاثة إنما هو موقع التنويه بالمقصود بعد التنبيه إليه.

---

[1] – محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم: ص 232.

[2] – محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم ، ص 205.

[3] – ينظر: المصدر نفسه، ص 205، 206.

وبهذا تكون علاقة التفريع قد شكلت نوعا من الترابط فيما بين أجزاء السورة القرآنية، وهذا ما يؤكد التحام وانسجام النص القرآني.

5-3-4 علاقة التكميل :

يظهر ذلك في كيفية الانتقال من الحديث عن الكتاب إلى الحديث عن الناس في قوله تعالى ﴿**الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2)** ﴾ ، يوضح **(دراز)** هذا الانتقال بقوله :" عمد إلى الطائفة الأولى فجعل الحديث عنها من تمام الحديث عن هداية القرآن نفسه قائلا ﴿ **هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾(البقرة3/2)، فكانت هذه (اللام الجارة)﴿ **لِلْمُتَّقِينَ**﴾ هي المعْبَرَة السرية التي انزلق عليها الكلام وانصب انصبابا واحدا إلى نهاية الحديث عن المؤمنين "[1].

في البداية كان قصر الانتفاع بهداية القرآن على طائفة المتقين وحدها بعد وصف القرآن بأنه الحق الواضح الذي لا ريب فيه، مع أن القرآن يكاد يحدد مهمته، ويقول: إن الذي سينتفع بهداه إنما هم المتقون، فكان هذا التحديد مظنة لأن يبتهل الرسول ﷺ إلى ربه قائلا: سبحانك اللهم، ولم لا يهتدي به الناس أجمعون ! ، لذا وجب أن تقرر الحقيقة، وأن تبين الموانع من عموم هداية القرآن بأسلوب ينزه القرآن من كل شائبة القصور﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6)** ﴾[2].

ويوضح **(دراز)** هذا الانتقال بقوله:" انتقل الحديث عن المؤمنين الذين سبقت لهم الحسنى إلى الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب"[3]، هنا تم انتقال الحديث إلى الطائفة الثانية "الكافرين" لا على سبيل اقتران الحديثين في القصد، ولكن على وجه يبنى فيه الكلام على بعض، وإزالة للتعجب كيف لا يهتدي بالقرآن الناس أجمعون ! ، وجرى الحديث عن هؤلاء إلى نهايته، فانضم الشكل إلى شكله، وعطفت الطائفة الثالثة على أختها لأنهم في التجافي عن الهدى مشتركون ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ**

[1] – المصدر نفسه: ص 207.

[2] – ينظر: محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، ص 207.

[3] – المصدر نفسه : ص 208.

بِمُؤْمِنِينَ (8)﴾[1]، فالانتقال من طائفة الكافرين إلى المنافقين كان بالعطف لأن قلوبهم متشابهة، حتى و إن اختلفت ألسنتهم.

من خلال ما سبق يتبين لنا أن انتقال الحديث من الكتاب إلى الحديث عن الناس ومن طائفة إلى أخرى بدءا بالمتقين ثم الكافرين، وأخيرا المنافقين، ساهم في ترابط أجزاء السورة القرآنية على نحو يكون معه النص كلا متكاملا ومنسجما.

هذه العلاقات التي ذكرها **(دراز)**(علاقة الإجمال، التفصيل، التمهيد والتخلص، علاقة التفريع ،علاقة التكميل)، توضح رؤيته النصية مبرزا الانسجام القائم على أساس العلاقة بين الوحدات النصية، بغض النظر عن تتابعها لتصبح أكثر ضرورة في الحالات التي قد يبدو فيها النص مفككا، أو متعارضا في الظاهر، لكن سرعان ما يتبين لقارئ النص أن وراء ذلك بنية محكمة تتضمن تماسك النص وانسجامه، وأن وجود هذه العلاقات في النص القرآني له مقاصد تتوازى مع الغرض العام للسورة، وكذا الأغراض الجزئية، وكل ذلك إشارة بانسجام النص القرآني وتماسكه، يدركه كل متأمل ومدقق فيه.

- خلاصة القول في هذا الفصل أن علماء التفسير بصفة عامة و**(محمد عبد الله دراز)** بصفة خاصة، كانوا مدركين أيما إدراك لعمليات الربط والترابط والانسجام في الكتاب العزيز آيات وسورا، وقد تناولوا ذلك إما في البحث عن موضوع الخطاب أو غرضه، أو في ترتيب الخطاب وبنائه، وإما في شكل علاقات نصية وخطابية.

وهكذا يتبين لنا أن هؤلاء العلماء قد اجتهدوا من أجل إبراز مظاهر انسجام النص القرآني، على أن الاهتمام بالانسجام لم يكن الانشغال الوحيد لهم، وإنما كان جزءا من انشغال أشمل هو فهم القرآن وإظهار وجوه إعجازه، معنى هذا أنهم اهتموا بالانسجام النصي، وعلاوة على ذلك قد سبقوا رواد لسانيات النص المعاصرة.

[1] – ينظر: المصدر نفسه، ص 208.

الفصل الثاني

انسجام النص بين سياق المقال وسياق الحال

أولا : مفهوم السياق

1- عند علماء التراث

2- السياق في الدرس اللساني الحديث

3- السياق القرآني

ثانيا : أنواع السياق

السياق الداخلي

سياق المفردة

سياق التركيب

السياق الخارجي

أسباب النزول

المكي والمدني

الخطاب وعلاقته بالمخاطَب

الإعجاز القرآني

يعد مصطلح المقام مصطلحا عاما تنضوي تحته مجموعة من المصطلحات الفرعية التي تتضافر كلها لتشكل في مجموعها المقام في مفهومه العام .

وقد اهتم البلاغيون العرب بالمقام تحت مسميات شتى دلت كلها على أهميته منها:(موافقة الكلام لمقتضى الحال، ولكل مقام مقال)، وقد وصف **(تمام حسان)** وضع البلاغيين العرب للعبارتين بأنهم:" وقعوا على عبارتين من جوامع الكلِم تصدُقان على دراسة المعنى في كل اللغات لا في العربية الفصحى، وتصلحان للتطبيق في إطار كل الثقافات على حد سواء "[1].

والمقام يعنى به الظروف المختلفة التي أنتج فيها النص، أو التي ارتبط بها حال إنتاجه، ويرى (فان ديك) أن:" اللفظ التقني الذي نستخدمه في مثل هذا الموقف، هو مصطلح السياق "[2].

بناء على هذا التطابق المعرفي بين الدرس البلاغي العربي، والدرس اللساني الحديث، يتبين لنا أن للسياق دورا هاما في نجاح الخطاب.

أولا : مفهوم السياق

1- عند علماء التراث :

ورد في لسان العرب لابن منظور:" ساق الإبل وغيرها، يسوقها سوقا وسياقا...، وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت، وكذلك تقاودت، فهي متقاودة ومتساوقة ؛... وساق بنفسه سياقا: نزع بها عند الموت؛ تقول: رأيت فلانا يسوق سوقا، أي: ينزع نزعا عند الموت ".[3]

أما (الزمخشري) فنجده يربط لفظ السياق بمختلف استعمالاته، حيث يقول:" ومن المجاز: ساق الله إليك خيرا، وساق إليها المهر...، وساقت الريح السحاب...، والمحتضر. يسوق سياقا...، وتساوقت الإبل وتتابعت...، وهو يسوق الحديث أحسن

---

[1]-- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994، ص 372.

[2]- فان ديك: النص والسياق، ص 257.

[3]- ابن منظور: لسان العرب، مادة سوق، ج 10، ص 166.

سياق، وإليك سياق الحديث، وهذا الكلام مساقه كذا ، وجئت بالحديث على سوقه، على سرده "[1].

من خلال سردنا لما جاء في بعض المعاجم العربية للفظ السياق، نجد أن الأصل اللغوي لها يأتي بعدة معان، إلا أن المعنى الأساسي هو التتابع والتوالي والتسلسل، كما في سوق الإبل وسوق النفس عند الموت، وإذا أضيف إلى الكلام دل على تتابعه واقتران الألفاظ بعضها ببعض وتواليها، وهذا ما يعرف بالسياق اللغوي .

2- السياق في الدرس اللساني الحديث :

تذكر الدراسات اللغوية أن كلمة السياق، كانت شائعة بين القدماء بمدلولها اللغوي العام، ولم تحمل مفهومها الاصطلاحي المعروف لها الآن عند العلماء المحدثين، إلا بعد استخدام **(مالينوفيسكي** و**فيرث)** لها، حيث صرح هذا الأخير أن" المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية؛ أي وضعها في سياقات مختلفة، فمعظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وأن معاني هذه الوحدات، لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها "[2].

وقد وسَّعَ **(أولمان)** مفهوم السياق بقوله:" هو النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم بأوسع معاني هذه العبارة؛ إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل- لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة للكلمة فحسب – بل والقطعة كلها والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل- بوجه من الوجوه – كل ما يتصل بالكلمة من ظروف، وملابسات والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام "[3].

وفي الدراسات اللغوية العربية الحديثة، نجد (تمام حسان) يستند في تعريفه للسياق على معناه اللغوي وعلى نوعيه فهو عنده:" التوالي من ناحيتين؛ الأولى: توالي العناصر

---

[1] – أبو القاسم محمود بن أحمد الزمخشري جار الله: (ت 538هـ)،أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، ج 1، 1998، ص 484 .

[2]- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص 106.

[3]- ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، تر كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، ط1، القاهرة، 1992، ص 62.

التي يتحقق بها التركيب والسبك، ومن هذه الزاوية يسمى سياق النص، والثانية: توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي، وكانت ذات علاقة بالاتصال ومن هذه الناحية يسمى سياق الموقف"[1].

كما يعرف(**جمعان عبد الكريم**) السياق بقوله:" كل ما يتعلق بأحوال المتتالية اللغوية في ظروف استعمالها داخل النص وخارجه "[2].

إذن فالسياق إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحدته اللغوية، ومقياس تتصل بواسطته الجمل في ما بينها وتترابط، وبيئة لغوية وتداولية ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النص للقارئ "[3] .

من التعريفات السابقة يتبين لنا أن النص تتجاذبه علاقتان داخلية وخارجية لكي ينسجم، فالداخلية تتعلق باللغة وتراكيبها، والخارجية تتمثل في الظروف والخلفيات المحيطة بالنص، وهذا ما يؤكد العلاقة التلازمية بين النص والسياق، فكل منهما متمِم للآخر.

3-السياق القرآني:

لم تكن فكرة السياق وليدة الدراسات الحديثة، وإنما لها أصول وجذور في التراث العربي، فقد أدرك العلماء العرب القدامى أهمية السياق منذ بداية التأليف، وإن كانت اشاراتهم مبثوثة في ثنايا كتبهم إلا أنهم تنبهوا إلى دوره في بيان الدلالة، والإفادة منه في فهم النصوص القرآنية .

---

[1]- تمام حسان: قرينة السياق، بحث مقدم في الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم، مطبعة عبير للكتب، ط1، القاهرة، 1993، ص 375.

[2]- جمعان عبد الكريم: إشكالات النص، دراسة لسانية، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 2009، ص 400.

[3]- *ينظر:* عبد الرحمان بودرع: منهج السياق في فهم النص، سلسلة كتاب الأمة، الدوحة، العدد 111 ، 2006 ص 27.

وتذكر الدراسات على أن أول من نص على السياق وأهميته في تحديد المعنى هو **(الإمام الشافعي)**، حين عقد بابا في الرسالة أسماه (باب الصنف يُبيِن سياقه معناه)، وبالرغم من أنه لم يعرِفه إلا أنه ساق أمثلة من القرآن الكريم[1].

لم يكن **(الشافعي)** الوحيد الذي تنبه إلى السياق ودوره في فهم معاني القرآن، و إنما هناك علماء آخرون اهتموا بكل ما يحيط بالكلام من ملابسات، وتعتبر دراساتهم للمناسبة ولأسباب النزول، ومعرفة المكي والمدني في القرآن دليلا كافيا على أنهم فطنوا إلى هذه الظاهرة وما لها من أهمية في فهم دلالة معاني القرآن الكريم، فقد أشار (الزركشي) إلى ذلك بقوله:" ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له"[2]، إضافة إلى ذلك نجد (السيوطي) يشير إلى السياق في قوله:" وقد تنزل الآيات على الأسباب الخاصة، وتوضع على مع ما يناسبها من الآية العامة رعاية لنظم القرآن وحسن السياق"[3]، كما استعمل (الشاطبي) لفظ المساق، ويعني به السياق بنوعيه: سياق النص، وسياق الموقف؛ إذ يقول:" المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل، وهذا معلوم في علم المعاني والبيان، فالذي يكون على بال من المستمع والمتفهم الالتفات إلى أول الكلام وآخره بحسب القضية، وما اقتضاه الحال فيها، لا ينظر في أولها دون آخرها، ولا في آخرها دون أولها...، فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع فيفهم المكلف..."[4].

يتبين لنا من خلال ما أوردناه من أقوال العلماء عن السياق وإشاراتهم إليه، أنهم كانوا على وعي تام بقضية السياق، وما له من أهمية بالغة في تحديد وفهم المعاني المقصودة، وهذا دليل على أن العلماء العرب كانوا من أوائل المهتمين بالسياق، وسبقوا

---

[1]– ينظر: ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي: دلالة السياق، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ط1424،1 هـ، ص 33.

[2] – بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن،مج1، ص 317.

[3] – السيوطي: الإتقان في علوم القران، ج2، ص 204.

[4]– أبو إسحاق إبراهيم محمد الشاطبي: الموافقات في أصول الأحكام، تح: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، السعودية ج3، 1417 هـ، 1997، ص 413.

الغرب في تحديد هذا المصطلح، والإفادة منه في فهم دلالات المعاني، وبيان أهميته بشقيه اللغوي والمقامي، وهو ما أشار إليه **تمام حسان** بقوله:" لقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنة تقريبا على زمانهم، لأن الاعتراف بفكرتي " المقام "و" المقال" باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى، يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة "[1].

وما يمكن قوله أن للعرب سبقا في مجال دراسة السياق، لكن للغربيين الفضل في تحويل السياق إلى نظرية قابلة للتطبيق، على جميع أنواع المعنى من صوتية وصرفية ونحوية واجتماعية، ووضعوا من المعايير والإجراءات ما يجعلها تتقابل مع بقية النظريات التي عالجت المعنى بالتحليل والتفسير.

ثانيا : أنواع السياق:

يتسع مفهوم السياق ليشمل كافة الظروف والاحوال المتعلقة بالنص سواء كانت ضمن تراكيبه وأجزائه، أو كانت ضمن المحيط الخارجي الذي كوّنه، ووفق هذا الاعتبار تم تقسيم السياق إلى تقسيم داخلي(لغوي / مقالي)، وسياق خارجي (غير لغوي/مقامي). فالسياق الداخلي يتمثل في: "العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بين هذه الكلمات، أما السياق الخارجي فهو: جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي أو الحال الكلامية "[2] .

1- السياق الداخلي (اللغوي):

1-1 مفهومه و أهميته:

السياق اللغوي هو الذي" يعتمد على عناصر لغوية في النص من ذكر جملة سابقة أو لاحقة، أو عنصر في جملة سابقة أو لاحقة، أو في الجملة نفسها، يحول مدلول

[1]- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها ،ص 337.

[2]- جمعان عبد الكريم: إشكالات النص، ص 401.

عنصر آخر إلى دلالة غير المعروفة له"[1].

وفي القرآن الكريم السياق اللغوي يعنى" سياق الآية أو الآيات داخل السورة وموقعها بين السابق من الآيات واللاحق، أي مراعاة سياق الآية في موقعها بين السابق من الآيات واللاحق، أي مراعاة سياق الآية في موقعها من السورة، وسياق الجملة في موقعها من الآية، فيجب أن تُربَطَ الآية بالسياق الذي وردت فيه، ولا تقطع عما قبلها وما بعدها، واطلق عليه البعض سياق النص"[2].

للدلالة السياقية اللغوية أهمية كبيرة في تفسير المعنى عن طريق تتابع المفردات والتراكيب والجمل؛ ذلك أن كل مفردة في الآية القرآنية متناسقة مع المفردات السابقة واللاحقة لها، ومتناسقة مع السياق الواردة فيه، وفي هذا يقول **دراز**:" إن هذه المعاني تنتسق في السورة كما تنتسق الحجرات في البنيان؟ لا، بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظمان عند المفصل ..."[3].

إذن فالبحث عن دلالة المفردة في السياق القرآني يكون من خلال التركيب والسياق الذي ترد فيه، ولكي ندرك هذا الأمر نشير مثلا إلى لفظ (الإحصان) الذي يطلق على (الإسلام، الحرية ، العفاف ، التزويج)، غير أن معناه يتحدد من خلال السياق ، ففي قوله تعالى:﴿ **فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ**﴾ (النساء/25)، قال **ابن كثير**:" والأظهر والله أعلم أن المراد بالإحصان هنا التزويج لأن سياق الآية يدل عليه، حيث يقول الله تعالى ﴿**وَمَنْ لَمْ يسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ**﴾ (النساء/25)

---

[1]– محمد حماسة عبد اللطيف: النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي –الدلالي، دار الشروق، ط1، 1420هـ، 2000 م، ص 116.

[2]– عادل رشاد غنيم: المنهج السياقي و أثره في تطوير دراسات التفسير، بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، 1424 هـ، 2013 م، المملكة العربية السعودية ،ص 17.

[3]– محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، ص 195.

والآية الكريمة سياقها في الفتيات المؤمنات، فتعين أن المراد بقوله تعالى ﴿**فَإِذَا أُحْصِنَّ**﴾ تزوجن كما فسره ابن عباس وغيره"[1].

يتضح من هذا أن وجود المفردة في سياقها المناسب، يوحي بمعناها الدقيق أكثر من تفسيرها بدون سياق يحددها؛ لأن المفردة لها معان عدة في المعاجم، ويعتريها احتمال دلالات أخرى، بينما إذا نظر إليها في ضوء سياقها يتحدد معناها المراد، فعلاقة المفردة بالسياق يساهم في تماسك النص وانسجامه.

2-1 مظاهر السياق الداخلي :

1-2-1 سياق المفردة:

أدرك **(دراز)** أن بعض الألفاظ المفردة لها دلالة مستنبطة من غير دلالتها المجردة، لهذا نجده يصرح بأن:" اللغة في كثير من الأحيان لا تميز لنا بدقة المعاني المطلوبة، بل تخلط بينها في ألفاظ جامعة، تاركة لنا مهمة تمييز المعنى الدقيق المراد منه بحسب السياقات أو الظروف التي تستعمل فيها"[2]، معنى هذا أن الكلمة لا يمكن معرفة معناها وهي منعزلة بمفردها من غير أن نعرف موضعها في النص وما يجاورها أيضا.

للسياق اللغوي أثر بَيِن في تفسير **(دراز)**، وقد اعتمد عليه في بيان معاني مفردات وآيات القرآن الكريم، ومن ذلك توضيحه لمعنى (اللطيف) الوارد في قوله تعالى﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ (الملك/14)، إذ يقول:" أما اللطف فله في اللغة معان مختلفة منها: الدقة والشفافية والخفاء عن الأنظار، فإذا أُخِذ بهذا المعنى كان الوقف تاما عن قوله:(أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ) ويكون قوله:(وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) جملة مستقلة هي فَذْلكَة جامعة للوصفين الذين تتناولهما الآيات، فقوله (اللطيف) ناظر إلى قوله [**إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ**]، وقوله (الخبير) ناظر إلى قوله [**إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور**](الملك/11)، ومن معاني اللطف:(الدنو والقرب)، وهذا هو أنسب المعاني لنسق

---

[1]- تهاني بنت سالم بن أحمد باحويرث: أثر دلالة السياق في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني، دراسة نظرية تطبيقية على آيات قصص الأنبياء، رسالة مقدمة لنيل درجة، ماجستير،2007، ص77-78.

[2]- محمد عبد الله دراز: دستور الأخلاق، ص 423.

البرهان، إذ يجعل الوصف به توطئة للوصف بما يليه فيكون المعنى: كيف لا يعلم بنا وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، فإن من كانت هذه منزلته في القرب منا كان خبيرا بنا جد خبير"[1].

وهنا تبدو أهمية السياق اللغوي في التفريق بين المعاني التي تحتملها كلمة اللطيف، ويرجِحُ **(دراز)** الوجه الثاني الملائم لسياق الآية مستعينا بالمتقدم منها في تحديد دلالته ومعناه بدقة.

ومن مواضع توظيف السياق اللغوي أيضا عند **(دراز)**، تحليله وتفسيره للفظتي (الشهيق والزفير)، إذ يقول:" وقد جاء ذِكْر(الشهيق) في سورة الملك، وفي سورة الفرقان(الزفير)، وجاء في سورة الأنبياء (ذكر زفير أهلها) ، وفي سورة هود (زفيرهم وشهيقهم معا)"[2].

وبعد إحصاء **(دراز)** ورود هذه المفردات، ذكر معانيها حسب السياق، وبيَّن مدى الاختلاف بينها بقوله:" ومن تأمل مواقع هذه الأوصاف المختلفة تَبِينُ له وجه اختلافها، فالشهيق حركة النفس أخذا واجتذابا، والزفير حركة النفس طردا ونفعا، والذي يحسه المقبل على النار عن بعد إنما هو زفيرها وقذفها بالحرارة واللهب، وهذا الذي ورد في سورة الفرقان﴿**إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا**﴾(الفرقان/12)، فإذا اقترب منها ودخل بابها كان أعظم إحساسه بحركة اجتذابها وابتلاعها كما في هذه السورة ﴿**إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ**﴾(الملك/7)، فإذا استقر المقام فيها كان تصوير حاله في تعذيبه أهم من تصوير النار نفسها، وهناك يجتمع له كِلا الأمرين، غير أن الزفير أسبق وأوضح تعبيرا عن الألم، لذلك أفرد في سورة الأنبياء﴿**لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ**﴾وفي سورة هود ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ**

[1]– محمد عبد الله دراز: حصاد قلم، ص 174.

[2]– المصدر نفسه: ص 170.

(106)﴾"[1]، نلاحظ من خلال هذا التحليل الذي قدمه دراز أنه ركز على السياق لتحديد الدلالة، فالمفرد يختلف معناها حسب السياق الذي وردت فيه ، فقد تكتسب دلالة معينة في موضع ما، وقد تأتي في موضع آخر و تكتسب دلالة أخرى، وبهذا يكون للسياق اللغوي أثر في ضبط متغيرات الدلالة التي يفرزها الموقف.

1-2-2 سياق التركيب:

كان (دراز) يصرح بالسياق اللغوي في كثير من الأحيان، ويذكر له مصاديق كثيرة تدلنا على الاستعمال الواسع له، ومحاولة الإفادة منه، كما جعله على رأس قائمة الشروط الواجب توفرها على المفسر و الإلمام بها، حيث يقول:" إن السياسة الرشيدة في دراسة النسق، تقضي بأن يكون هذا النحو من الدرس هو الخطوة الأولى فيه، فلا يتقدم الناظر إلى البحث في الصلات الموضعية بين جزء منه – وهي تلك الصلات المبثوثة في مثاني الآيات ومقاطعها – إلا بعد أن يحكم النظر في السورة كلها بإحصاء أجزائها، وضبط مقاصدها على وجه يكون معوانا له على السير في تلك التفاصيل عن بينة"[2].

ويعد **(دراز)** السياق اللغوي وسيلة مهمة من وسائل الكشف عن المعنى الدقيق فمثلا في قوله تعالى﴿**وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً**﴾ (النساء/100)، تدبر دراز النص القرآني بالنظر إلى سياقه الداخلي قائلا:" لا يشمل التعبير على معنى وحيد، إذ قد يكون له تأويل يحمل عليه، فقد يكون معناه:(يجد في الأرض حرية ورخاء)، وقد يكون معناه: (يجد في الأرض منجاة من أعدائه ويؤدي عمله في أوسع مجال)، وهذا التفسير الأخير يتفق مع السياق في قوله **تعالى**﴿ **أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾ (النساء/97)"[3] .

---

[1]– محمد عبد الله دراز: حصاد قلم ، ص 171.

[2]– محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، ص 199.

[3]– محمد عبد الله دراز: دستور الأخلاق، ص 346.

هنا أشار **دراز** إلى أن المعنى لا يُفهم إلا بتتابع الكلام وترابطه، فهو ربط آيات السورة ليصل إلى المعنى المراد. وبهذا يكون للسياق اللغوي (الداخلي) دور بارز في ترابط آيات النص القرآني وانسجامه .

كما اعتمد **(دراز)** أيضا على السياق اللغوي ليبين المعنى المراد بقوله تعالى: ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (80)** ﴾ (التوبة)، فيقول:" نقول ظاهر النص أن العطف ب (أو) يحتمل أن يكون للتسوية لا للتخيير، كما أن صيغة العدد تحتمل أن تكون للمبالغة لا للتحديد، وكلاهما يحتمل احتمالا قويا، إلا أن معنى التخيير و التحديد آت على أصل الوضع، وعلى مقتضى كرم الطبع، فلم يعدل عنه الرسول الكريم إلا بنص آخر بالمنع فأنزل الله تعالى قوله ﴿**وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ** ﴾ (التوبة/84)[1]. ربط **دراز** بين آيات المقطع الواحد للسورة لتحديد المعنى بدقة معتمدا في ذلك على سياقها اللغوي، ثم رجح المعنى المراد الذي يكون أقرب إلى إبقاء النص القرآني مترابط و منسجم.

ومن الشواهد القرآنية أيضا على أثر السياق اللغوي في بيان تماسك النص القرآني وانسجامه ،ما جاء في قوله تعالى﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ (البقرة/***91***)، يقول **دراز**:" وهكذا كانت (مصدقا لما معهم) مغلاقا لما قبلها مفتاحا لما بعدها، وكانت آخر درجة في سلم الغرض الأول هي أول درجة في سلم الغرض الثاني، فما أوثق هذا الالتحام بين أجزاء الكلام "[2]، في تفسير هذه الآية ركز **(دراز)** على انسجام النص وعلى سياقها اللغوي الذي وردت فيه، ثم علق على كلمة (لما معهم) قائلا:" فانظر إلى الإحكام في صنعة البيان، إنما هي كلمة رفعت، واخرى وضعت في مكانها عند الحاجة إليها...، ذلك أنه كان مقتضى السياق أن يقال:(مصدقا

[1]– ينظر: محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، ص29.

[2]– المصدر نفسه: ص 153.

لما أنزل عليهم)، ولكنه لأمر ما نحى عن كتابهم ذلك اللقب القديم، وألبسه هذا العنوان الجديد، ولو بدلت أحد اللقبين مكان الآخر لما صلح أحدهما في موضع صاحبه، بل لو جئت بلقب آخر فقلت:(مصدقا لما هو باق في زمنهم) أو(مصدقا لما عندهم) لما تم الإلزام، وهذا من عجيب شأن القرآن لا تبديل لكلماته "[1].

ومن خلال هذه النماذج يتبين لنا وضوح الرؤية النصية **لدراز** وفهمه التام لأهمية الانسجام النصي، متخذا السياق اللغوي وسيلة لتحقيق ذلك في تحديد العديد من الدلالات سواء المفردة منها أو المركبة .

ومع أهمية السياق اللغوي إلا أنه غير كاف في الرؤية الكلية للمعنى وترابط دلالته في النص، وإن دلالة السياق اللغوي بمفردها لا تقدم سوى القليل بالنسبة لما يقدمه النص، ومن ثم فلا بد من الانتباه إلى السياق الخارجي ليتحقق التكامل في فهم النص القرآني.

2- السياق الخارجي:

2-1 مفهومه و أهميته :

السياق الخارجي يراد به ظروف النص التي سماها العلماء سياق الحال، أو المقام، وقالوا: (لكل مقام مقال)، وأسماه البعض سياق الموقف، حيث تتوالى الأحداث التي تصاحب الأداء اللغوي، وكانت ذات علاقة بالاتصال، ويشمل ذلك الزمان والمكان وحال الأشخاص المتكلمين والمخاطبين...، وهذا النوع يشتمل على القرائن الحالية التي تسهم في الكشف عن المراد، وهو يدخل في ما سَمَّاه اللسانيون المعاصرون (سياق الحال) الذي يمثله العالم الخارجي[2]، فمن أجل فهم نص ما، يجب معرفة كل القرائن والظروف التي تحيط به لكونها تساعد بشكل كبير في إزالة اللبس والغموض عن النص.

والسياق غير اللغوي في النص القرآني يتمثل في الظروف الخارجية " بوصفها الوعاء الذي يصب فيه النص، أو المجرى الذي يتنزل فيه، وليست هذه الظروف – في

---

[1]- محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، ص152-153.

[2]- ينظر: عادل رشاد غنيم: المنهج السياق وأثره في تطوير دراسات التفسير، ص 41.

جوهرها–إلا العناصر التي تشكل السياق الخارجي للخطاب القرآني "[1].

وإذا كان السياق الخارجي يمثل عند اللغويين الجوانب غير اللفظية المصاحبة للحدث الكلامي من الظروف والملابسات، فإن هذه الظروف الخارجية المصاحبة للنص القرآني، تمثل عند المفسرين طرقا قوية في الكشف عن دلالة النص القرآني، ولا سيما ما عُرفَ عندهم" بعلم معرفة أسباب النزول، وعلم معرفة المكي والمدني، فبالأول :يتمكن المتلقي من معرفة العلاقة بين جزء محدد من النص(آية أو أكثر)النص القرآني والواقع الخارجي الذي هو سبب نزول النص، وبالثاني: يتمكن المتلقي من استيعاب السياق التاريخي والاجتماعي الذي به اختلف المكي عن المدني، وهذا يعني أن السياق في هذا النظر، يستوعب العناصر ذاتها التي انتهت إليها نظريات تحليل الخطاب المعاصرة "[2]،التي أكدت على ضرورة الأخذ به بعين الاعتبار، حيث يرى" براون ويول أن محلل الخطاب ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يظهر فيه الخطاب، والسياق لديهما يتشكل من المتكلم – الكاتب، والمستمع – القارئ، الزمان والمكان، لأنه يؤدي دورا فعالا في تأويل الخطاب"[3].

إذا كان السياق الخارجي " في الدرس الحديث ظل لفترة غير قصيرة يقوم بوظيفة مزدوجة: يحصر مجال التأويلات الممكنة... ويدعم التأويل المقصود، فإن السياق في علوم القرآن يتجاوز حصر التأويلات الممكنة، أو تدعيم بعضها، إنه لا يلي النص ولا يوازيه، ولكنه يرافقه يتدخل في تشكيل وتوجيه الخطاب"[4].

ويمكن القول: إن سبب النزول ومكية السورة أو مدنيتها عند المفسرين بمنظور لسانيات النص، يعبر عنه بالسياق الخارجي الذي يرافق النص ويصاحبه، و يدخل في

[1]– قطب الريسوني: النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط1، 2010، ص85.

[2]– محمد عبد الباسط عيد: النص والخطاب، قراءة في علوم القران، تقديم، صلاح رزق مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1430–2009، ص24.

[3]– محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 52.

[4]– محمد عبد الباسط عيد: النص والخطاب، قراءة في علوم القرآن، ص26.

توجيه بنيته ومعناه، وهذا ما يؤكد أن علماء القرآن أدركوا ما أراده المحدثون من أن النص اللغوي إنما هو نص في موقف ، فما ذكره علماء النص حول السياق لا تكاد تخرج دائرته عما قاله العرب قديما .

2-2 مظاهر السياق الخارجي :

تنبه المفسرون للظروف التي صاحبت إنتاج النص القرآني، وذكر الظروف التي قيلت من أجلها، وهي في الواقع مقام للفهم، وأنه يتحتم على المفسر معرفتها منها :

2-2-1 أسباب النزول:

2-2-1-1 مفهومه وفائدته:

من المعلوم أن النص القرآني نزل منجما تبعا لتنوع الأحداث والظروف ، ولم ينزل في مكان ولا زمان ولا حدث واحد، ولهذا يحتاج فهمه ودراسته تسليط الضوء على أسباب نزوله ليتضح تفسيره.

وسبب النزول هو" ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه، و المعنى أنه حادثة وقعت في زمن النبي ﷺ ، أو سؤال وُجِهَ إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة، أو بجواب هذا السؤال "[1].

لمعرفة أسباب النزول فوائد عظيمة في تفسير القرآن وبيان معاني آياته، وجهل الناس بها كثيرا ما يوقعهم في اللبس والإبهام، فيفهمون الآية على غير وجهها، ويذكرالسيوطي أهميتها بقوله:" لمعرفة أسباب النزول فوائد، وأخطأ من قال لا فائدة له لجريانه مجرى التاريخ...، ومن وفوائده الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال"[2]، ويقول أيضا:" لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها "[3].

---

[1]- محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، تح فواز احمد زمرلي، ج1، ط1، دار الكتاب العربي بيروت، 1995، ص 89.

[2]- جلال الدين عبد الرحمان أبي بكر السيوطي: لباب النقول في أسباب النزول، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، لقاهر، 2002 م ، ص 07.

[3]- جلال الدين عبد الرحمان أبي بكر السيوطي: لباب النقول في أسباب النزول ، ص 07 .

كما يؤكد (ابن عاشور) على أهمية أسباب النزول بمعناها العام في معرفة السياق بقوله:" ومنها ما ينبه المفسر إلى إدراك خصوصيات بلاغية تتبع مقتضى المقامات، فإن من أسباب النزول ما يعين على تصوير مقام الكلام "[1].

2-2-1-2 علاقة أسباب النزول بالسياق:

لقد نظر علماء القرآن والمفسرون في العلاقة بين النص والسياق من خلال أسباب النزول، لأنها الوجهة التي من خلالها تظهر دلالة النص القرآني لما فيها من عوامل تساعد على فهم النص ومقاصده، والمنهج الصحيح لتفسير النصوص القرآنية، هو بإعادة ربطها بأسباب التنزيل، وفهمها على ضوء خلفية الواقعة التي تنزلت بشأنها، ويندرج ضمنها(مراعاة حال المخاطب وغرض المتكلم)[2].

وتعد معرفة أسباب النزول من أكثر الموضوعات ارتباطا بسياق الحال، فما من مفسر للقرآن إلا تعرض لأسباب النزول بغية الوقوف على الفهم الصحيح للنص القرآني، يقول **(تمام حسان)**:" يحتم الأصوليون على من يتصدى لاستخراج الأحكام من القرآن أمورا لا ينبغي أن يغفل عنها، هي في الواقع (مقام) للفهم، فعليه مثلا:

- ألا يغفل عن بعضه في تفسير بعضه.
- ألا يغفل عن السنة في تفسيره.
- أن يعرف أسباب النزول.
- أن يعرف النظم الاجتماعية عند العرب.

فهذه العناصر الأربعة يمكن اختصارها في كلمة المقام، ولا ينبغي لمن يتصدى بتفسير آية أن يغفل عن مقامها "[3].

---

[1]- ابن عاشور: التحرير والتنوير: ج1، ص 48 .

[2]- ينظر: مسعود صحراوي: المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المجلد 5، العدد1، ص 42 .

[3]- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها ، ص 348 .

إذن فالعلاقة بين أسباب النزول والسياق علاقة مشتركة ، فكما أن أسباب النزول تعين على معرفة السياق، فإن السياق وسيلة مؤثرة في بيان الأصح من أسباب النزول. ولأسباب النزول أهمية كبيرة في تفسير القرآن، كما تعد وجها من وجوه السياق الخارجي في فهم المعنى المراد للنص القرآني،" وينبغي أن نشير إلى أن المفسرين قد فطنوا منذ زمن سحيق في القدم إلى معرفة الفرق بين ظاهر النص وباطنه، فكان فهمهم لهذا الفرق تفريقا منهم بين المعنى المقالي والمعنى المقامي"[1].

2-2-1-3 أسباب نزول القرآن عند دراز:

إن ما يعنينا في هذه الدراسة موقف **(دراز)** من أسباب النزول ،والآثار التي تركها هذا العلم على أسلوبه في تفسيره للآيات القرآنية، وقد انصب جهده في علم أسباب النزول وضع مبحثا كاملا من كتابه(حصاد قلم) للحديث عنه في تحديد معناه ووجه الحاجة إليه، والمخرج عند اختلاف الروايات ومدى تقييد السبب الخاص للنصوص العامة.

أ- معنى سبب النزول عند دراز :

يرى **(دراز)** أن كلمة سبب النزول لها معنيان مختلفان في لسان العلماء، وأورد له تعريفين أحدهما: للإمام الواحدي:" كل ما كان في عصور نزول القرآن من الأحوال العامة أو الوقائع الخاصة، التي جاء القرآن لبيان الحق فيها يعد من أسباب نزوله" وثانيهما **(للسيوطي)**" الحادث الذي نزلت الآية أيام وقوعه، أو السؤال الذي نزلت الآية عقبه "[2]، ثم توجه **(دراز)** لتعريف **(السيوطي)** ينتقده بالتحليل والتعقيب، لِيُبْدي عليه ملاحظتين:

الأولى: أن من الآيات ما يتراخى نزولها عن أسبابها مثل قصة (الإفك) التي تأخر والثانية: أن من الآيات ما تُنْزَل على غير سبب، بل تكون مبنية على العوائد الجارية والأحوال المستمرة في الجاهلية، وفي ذلك يقول: "وكثيرا ما بني عليها العلماء أحكاما

---

[1]- المرجع نفسه، ص339 .

[2]- محمد عبد الله دراز: حصاد قلم، ص 69 .

اعتقاديه وعملية وبلاغية، فقد فهم المالكية والحنفية قوله تعالى﴿**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ**﴾(البقرة/196)، أن ليس فيه إيجاب للحج ولا للعمرة، وإنما هو أمر بإتمامها فحسب؛ لأنهم في الحج يحجون ويعتمرون لكنهم يتركون بعض الشعائر ويغيرونها "[1].

يفهم من هذا أن بعض الآيات حسب قول (دراز) لم يرد سبب نزولها، وفهمها العلماء بالخطأ وبنوا عليها أحكاما اعتقاديه وفق الوقائع الجزئية الخاصة المتصلة بنزول بعض الآيات، إلا أن مثل هذه القضايا تحتاج" إلى معرفة الأحوال العامة للعرب في عصر النزول"[2].

ركز **(دراز)** في هذه القضية على ضرورة معرفة المفسر لأحوال العرب في فهم معاني القرآن الكريم لتجنب الوقوع في اللبس والإشكال، وبهذا يكون بنظرته هذه قد قارب الآلية النصية التي ذكرها كل من **(براون ويول)** والمسماة (المعرفة الخلفية) أو(معرفة العالم)، والتي تعد أساسا في فهم الخطاب، حيث يقولان:" هذه المعلومات العامة عن العالم هي أساس فهمنا لا للخطاب فحسب، بل ربما لكل جوانب خبرتنا الحياتية، وكما يلاحظ **(ديبوجراند)**: إن مسألة كيفية معرفة الناس بما يجري داخل نص، هي حالة خاصة من مسألة كيفية معرفة الناس بما يجري في العالم بأسره"[3].

ب- فائدة معرفة أسباب النزول عند دراز :

أما عن الفائدة الجليلة التي تثمرها معرفة أسباب النزول فذكر دراز أنها :تسد الحاجة الأولى للمفسر باطلاعه على وجه النص ومغزاه الأصلي، ثم أضاف فائدتين لا تقل عنها شرفا وخطرا؛ فالأولى: تعين الباحث على فهم إعجاز نظم القرآن في مطابقة الكلام لمقتضى أحوال الخطاب، والثانية: تعينه على معرفة علل الأحكام، وضبط مقاصد الشريعة أو استخراج قواعدها القياسية [4].

---

[1]- المصدر نفسه ، ص 70 .

[2]- المصدر نفسه: ص 70 .

[3]- براون ويول: تحليل الخطاب، ص 279 .

[4]- ينظر: محمد عبد الله دراز، حصاد قلم، ص 71-72 .

من خلال ما أورده **(دراز)** في مبحثه هذا النظري يتبين لنا أنه كان مدركا لأسباب النزول وما له من أثر بالغ في معرفة السياق الخارجي وتحديده، والدليل على ذلك قوله:" ... مطابقة النظم لمقتضيات الأحوال، ولا يعرف مقتضيات الأحوال بدون معرفة الأحوال التي تقتضيها ولا يعرف هذه الأحوال إلا بمعرفة الأسباب التي نزل عليها القرآن "[1]؛ أي أن يكون الكلام مناسبا لحال الخطاب؛ سواء من جهة نفس الخطاب، أو المخاطِب، أو المخاطَب أو الجميع، إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب مخاطبيه، ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل، وأن معرفة السبب هو معرفة مقتضى الحال، وفي مقابل ذلك فإن السياق يبين السبب الصحيح للآية، والجهل بأسباب التنزيل يوقع في الإبهام والإشكال .

ج- نماذج تطبيقية عن أسباب النزول :

يقول **(دراز)**:" فلو أنك نظرت إلى هذه النجوم عند تنزيلها، ونظرت إلى ما مُهِدَ لها من أسبابها، فرأيت كل نجم رهينا بنزول حاجة ملمة، أو حدوث سبب عام أو خاص، إذا لرأيت في كل واحد ذكرا محدثا لوقته، وقولا مرتجلا عند باعثة، لم يتقدم للنفس شعور به قبل حدوث سببه، ورأيت فيه كذلك كلا قائما بنفسه لا يترسم نظاما معينا يجمعه وغيره في نسق واحد "[2]. إذن أسباب النزول من العلوم التي لا يستغنى عنها، لما لها من فوائد، فمن دونها لا سبيل إلى فهم النصوص الشرعية، وفيما يلي بعض فوائدها:

أ- الاستعانة بأسباب النزول في فهم الآية ودفع الإشكال عنها :

اعتمد **(دراز)** في تفسير الكثير من الآيات القرآنية بالاعتماد على أسباب النزول، وعدهاالأساس الذي لا يستغني عنه فقيه ولا مفسر، وقد كان جهل الناس بها يوقعهم في اللبس، فيفهمون الآيات على غير وجهها الصحيح، ولا يصيبون الحكمة الإلهية من تنزيلها، إذ يقول:" نحن نعرف أمثلة كثيرة كان الجهل فيها بأسباب نزول القرآن مفضيا إلى أخطاء شنيعة في القديم والحديث"[3]، وأورد **دراز** أمثلة عديدة لذلك منها قوله تعالى

---

[1]- المصدر نفسه، ص 71 .

[2]- محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم ، ص 189 .

[3]- محمد عبد الله دراز: حصاد قلم ص 72 .

﴿**لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾(آل عمران/188)، هذه الآية أُشْكِلَ معناها:" ما رواه الشيخان أن مروان بن الحكم أرسل بوابه إلى **ابن عباس** وقال: قل له لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون، فقال **ابن عباس:** مالكم ولهذه الآية ؟ إنما دعا النبي ﷺ – يهود – فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، وأروه أنهم أخبروه بما سألهم منه و استحمدوا إليه بذلك ثم قرأ ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**﴾ (**آل** عمران/187)"[1].

يتبين لنا من هذه الواقعة أن **(مروان بن الحكم)** اتجه فهمه للآية إلى معنى معين، لكن **(ابن عباس)** أورد له سبب النزول ووجهه إلى المعنى الصحيح لها، وما يلاحظ على ابن عباس أيضا انه جمع بين السياق الخارجي (سبب النزول)، وكذا السياق الداخلي(سياق النص)، وذلك بربطه بالآية السابقة التي تتحدث عن الميثاق الذي أخذه الله على أهل الكتاب، وهذا له دور كبير في انسجام النص القرآني.

ومن الشواهد القرآنية أيضا على أثر أسباب النزول في فهم معاني الآيات القرآنية ما جاء في قوله تعالى﴿ **يسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**﴾ (البقرة/189) . ذكر **(دراز)** سبب نزولها أن" مسألة الأهلة هي ما رواه قتادة مرسلا:" سألوا نبي الله عن ذلك: لِمَ جُعِلت هذه الأهلة ؟ فأنزل الله فيها ما تسمعون ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ للناس﴾، فجعلها لصوم المسلمين ولإفطارهم، ولمناسكهم وحجهم ، ولعدة نسائهم، ومحل دينهم، في أشياء والله أعلم بما يصلح خلقه "[2].

---

[1]– المصدر نفسه: ص 72 .

[2]– محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم: ص 245 .

معنى هذا أنهم سألوا عن الأهلة من جهة أحكامها والتوقيت بها ،فجاء الجواب مطابقا لسؤالهم، بجعلها علامات يعرف بها الناس أوقات العبادات المحددة ، وكذلك عدد النساء، وكل ما يتصل بمعاملاتهم ....، كل ذلك يعرف بالأهلة .

ربط **(دراز)** سياق الآية بسياقها الخارجي معتمدا في ذلك على سبب النزول، مبينا دوره في إظهار تماسك النص القرآني وانسجامه بقوله :" لنقف بك هاهنا وقفة يسيرة، نشير فيها إلى شأن عجيب من شؤون النسق القرآني في هذا الموضع : ذلك أنه حين بدئ بذكر الحج ، لم تتصل به أحكامه ولاء، بل فصل بين اسمه وحكمه...،ولكن الذي يعرف تاريخ الإسلام وأسباب نزول القرآن، يعرف ما لهذه الفاصلة من شرف الموقع وإصابة المَحَزْ"[1].

بهذا فإن معرفة أسباب النزول، والملابسات التي كانت وقت نزول القرآن، من المواضع التي يفهم مراد الله تعالى بها، وهذا يعد وجها من وجوه السياق الخارجي .

ب- **العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب :**

نجد **(دراز)** في بعض النصوص القرآنية يذكر أسماء من نزلت الآية بحقهم من ذلك قوله:" وتارة ينص على حوادث جزئية محددة منه – وهذا أعجب و أغرب – كما في قول شأن الرجل الزنيم الذي كان يقول في القرآن إنه أساطير الأولين ﴿**سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ**﴾ (القلم/16)، يشير **(دراز)** إلى سبب نزولها بقوله:" المشهور أنه الوليد بن المغيرة المخزومي الذي نزل فيه قوله تعالى ﴿**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (11)** ﴾ (المدثر) "[2]، ويعقب (دراز) على هذا النص في موضع آخر بقوله:" ونحن لا يعنينا شخص من نزلت فيه الآيات، وإنما تعنينا العبرة في صفاته، وما نظنه إلا صاحب المقالة السفيهة الذي رمى النبي كذبا"[3].

---

[1]– المصدر نفسه: ص 245، 246 .

[2]– محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم ، ص 56 .

[3]– محمد عبد الله دراز: حصاد قلم، ص200 .

يفهم من هذا أن أسباب النزول عبارة عن قرينة تحيط بالنص من الخارج، يستعان بها في فهم معاني الآيات ودلالاتها ،وكذلك استخلاص العبرة بأن نصوص القرآن خطاب للناس كافة ، لا تخص بالتكليف من تعلقت به ظروف نزولها الذي كان السياق لأجلها.

ج- حمل القضية على عمومها مع مخالفة ذلك للقواعد الشرعية :

ومن الشواهد التي ذكرها **(دراز)** أيضا في جهل الناس لأسباب النزول قوله تعالى ﴿**وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ**﴾ (البقرة/284)، في هذه الآية الكريمة اعتقد صحابة النبي ﷺ أنها تنطبق على كل ما يدور في الضمير تمسكا منهم بحرفية هذه الآية " فعن **أبي هريرة** رضي الله عنه قال: لما نزلت على رسول الله الآية السابقة اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله، ثم جثوا على الركب فقالوا: يا رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة، والصوم، والجهاد، والصدقة، وقد أنزل الله هذه الآية ولا نطيقها، فقال رسول الله ﷺ:" أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتاب من قبلكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا سمعنا و أطعنا غفرانك و إليك المصير"[1]، عقب (دراز) على هذا النص بقوله: إن الصحابة لم يقفوا عند نوع سببها من إبداء الشهادة وكتمانها، ولا عند جنسها القريب من إعلان العزائم و إخفائها، بل حملوها على العموم لكل ما تحدثت به النفس مما يطاق ومما لا يطاق، وكذلك أزعجوا منها إزعاجا شديدا مع أنه من القواعد الكلية المكية﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ (الحج/78)، وقد أقرهم النبي ﷺ على ذلك حتى نزل قوله تعالى ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَالَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾ (البقرة/286). [2]

ومن هنا يتبين لنا دور أسباب النزول في تحديد المعنى الدقيق للنص القرآني، بحيث لو فقد ذكر السبب لم يعرف تفسير النص، ووجهت له عدة احتمالات، فمعرفة

[1]- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، ص30

[2]- محمد عبد الله دراز: حصاد قلم، ص 88 ، 89 .

أسباب النزول تفيد في معرفة تفسير الآية وتزيل إشكالها، والجهل بالأسباب سبب للوقوع في اللبس.

إن ما أوردناه من نماذج وغيرها مما ساقها (دراز)، تبين مدى أهمية الوقوف على سبب النزول بوصفه سياقا خارجيا يُعِين على فهم الآيات القرآنية فهما صحيحا، ويزيل اللبس والغموض التي يكتنفها، وهذا ما يؤكد إدراك **(دراز)** لانسجام النص القرآني مع سياقه الخارجي.

2-2-2 علم المكي والمدني :

2-2-2-1 مفهومه وفائدته :

يقسم العلماء (القرآن الكريم)إلى قسمين مكي ومدني، وقد اعتنوا بهذا المبحث عناية فائقة، فتتبعوا القرآن آية آية وسورة سورة، لترتيبها وفق نزولها، مراعين في ذلك الزمان والمكان والخطاب، ولا يكتفون بزمن النزول ولا بمكانه، بل يجمعون بين الزمان والمكان والخطاب، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على شرف هذا العلم وأهميته وعلو منزلته، وفي ذلك يقول (**أبو القاسم النيسابوري)** فيما نقل عنه **(الزركشي)** " من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة ابتداء ووسطا وانتهاء، وترتيب ما نزل بالمدينة "[1].

وفي تحديد معنى (المكي والمدني) ذكر **الزركشي** أن في ذلك" ثلاثة اصطلاحات:

أحَدُها أن المكي ما نزل بمكة، والمدني ما نزل بالمدينة، والثاني – وهو المشهور– أن المكي ما نزل قبل الهجرة، وإن كان بالمدينة، والمدني ما نزل بعد الهجرة، وإن كان بمكة، والثالث أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة ."[2]

---

[1]– الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ط3 ، ج1 ، ص 135 .

[2]– الزركشي : البرهان في علوم القرآن، ص 132 .

في هذا التحديد يتبين لنا أن **(الزركشي)** اعتمد في تعريف المكي والمدني على عناصر السياق (المكان والزمان والمخاطَب)، فالمكان نجده في التعريف الأول، والزمان في التعريف الثاني، وأخيرا مراعاة المخاطبين في التعريف الثالث.

ويذكر **(صبحي الصالح)** أيضا أهمية هذا العلم بقوله:" أما العلم بالمكي والمدني فلا غنى له عن تناول القرآن كله سور وآيات: فكل سورة فيه إما مكية أو مدنية، وقد تستثنى من السور المكية آيات مدنية، ومن السور المدنية آيات مكية "[1].

وقف علماء القرآن في إطار اشتغالهم بعلم المكي والمدني على الخصائص الموضوعية، والأسلوبية، والعلامات الضابطة والمميزة لكل قسم،" وقد كان العلم بالمكي والمدني إذن خليقا بالعناية البالغة، التي أحيط بها وجديرا أن يعد بحق منطلق العلماء، لاستيفاء البحث في مراحل الدعوة الإسلامية، والتعرف على خطواتها الحكيمة المتدرجة مع الأحداث والظروف، والتطلع إلى مدى تجاوبها مع البيئة العربية في مكة والمدينة، وفي البادية والحاضرة، والوقوف على أساليبها المختلفة في مخاطبة المؤمنين، والمشركين، وأهل الكتاب"[2].

وللعلم بالمكي والمدني فوائد منها:

– الوقوف على السيرة النبوية من خلال الآيات القرآنية: فإن تتابع الوحي على رسول الله ﷺ ساير تاريخ الدعوة بأحداثها في العهد المكي والعهد المدني منذ بداية الوحي حتى آخر آية نزلت .

– تذوق أساليب القرآن والاستفادة منها في أسلوب الدعوة إلى الله: فإن لكل مقام مقالا، ومراعاة مقتضى الحال من أخص معاني البلاغة، وخصائص أسلوب المكي في القرآن والمدني منه، تعطي الدارس منهجا لطرائق الخطاب في الدعوة إلى الله بما يلائم نفسية المخاطب .

---

[1]– ينظر: صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط 10 ، 1977 ، ص 167 .

[2]– المرجع نفسه: ص 167 .

– الاستعانة به في تفسير القرآن: فإن معرفة مواقع النزول، تساعد على فهم الآية وتفسيرها تفسيرا صحيحا، ويستطيع المفسر في ضوء ذلك عند تعارض المعنى في آيتين أن يميز بين الناسخ والمنسوخ، فإن المتأخر يكون سببا للمتقدم[1].

ولمعرفة المكي والمدني طريقان:" سماعي وقياسي، فالسماعي ما وصل إلينا نزوله بأحدهما والقياسي ،قال **(علقمة عن عبد الله)**: كل سورة فيها يأيها الناس فقط ، أو كلا ،أو أولها حروف تهج سوى الزهراوين والرعد في وجه ،أو فيها قصة **آدم وإبليس**، سوى الطولى فهي مكية، وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية، وكل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية "[2]. وهذا النوع الأخير(القياسي) لا سبيل لمعرفته إلا من خلال السياق.

2-2-2-2 المكي والمدني وعلاقته بالسياق :

إن تقسيم المفسرين لنصوص القرآن إلى قسمين: مكي ومدني، يدخل ضمن هذا الإطار في مزيد من الإدراك للسياق المقامي، وبالتحديد عنصر المخاطَب الذي يختلف بين القرآن المكي والمدني ،إذ القرآن المكي المقصود به – أو جل المقصود به – أهل مكة وأكثرهم مشركون، وأما القرآن المدني فإن أهل المدينة وأكثرهم مؤمنون هم المخَاطَبون به، لذلك كان التعرف على مكي القرآن ومدنيه يساعد كثيرا في فهم الظروف والأحوال، التي كان يعالجها القرآن الكريم في كل من المجتمعين المكي والمدني، كما يسهم في فهم النص[3]،لذلك اقتضت طبيعة الموضوعات التي نزل بها القرآن في مكة أن يختلف أسلوبها عن تلك الموضوعات النازلة في المدينة ، فاختلاف الأسلوب تابع لاختلاف الموضوع، يقول **(محمد قطب)**:" حين يكون الموضوع الرئيسي في السور المكية هو العقيدة بتفصيلاتها، يكون الأسلوب المناسب هو الحركة السريعة، والنبض السريع، ومخاطبة الوجدان، مكمن العقيدة، وحين يكون الموضوع الرئيسي في السور المدنية، هو

[1]– ينظر: مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، ط 7، د ت، ص55 ، 56

[2]– الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص133 .

[3]– ينظر: عادل رشاد غنيم: المنهج السياقي و أثره في تطوير دراسات التفسير ،ص 42-43

التشريعات والتنظيمات وبناء المجتمع المسلم ...، يكون الأسلوب المناسب هو الحركة المستأنية، والمخاطبة العقلية التي تدع المجال للتدبر والتفكير[1]، فالمرحلة المكية تضمنت موضوعات مختلفة عن موضوعات المرحلة المدنية، والسياق القرآني جاء متناسبا مع موضوعات كل مرحلة.

فالقرآن الكريم قام على رعاية حال المخاطبين،" فتارة يشتد وتارة يلين تبعا لما يقتضيه حالهم، سواء منهم مكيِهم ومدنيِهم، فأهل مكة كثر خطابهم بالشدة والعنف، فذلك لما مردوا عليه من أذى الرسول وأصحابه، والكيد لهم حتى أخرجوهم من أوطانهم، وكان القرآن في حملته عليهم وعلى أمثالهم بالقول متذرعا بالحكمة في الإرشاد والإقناع، وأهل المدينة كان خطابهم باللين والسهولة، فالخطاب في حقهم خطاب توكيد يأمرهم بالثبات على الإيمان[2]، كما أن الخطاب المكي جاء قصيرا موجزا في معظمه، وجاء الخطاب المدني طويلا مسهبا في أكثره، ويرجع ذلك إلى أن أهل مكة، كانوا من قبائل العرب ذكاء و فصاحة وبلاغة، فلا بد أن يخاطبهم القرآن بالقصير من سوره وآياته ،رعاية لحق قانون البلاغة والبيان، وأهل المدينة لم يكونوا على استنارتهم ليبلغوا شأن أهل مكة في تلك الخصائص والمزايا، وكان منهم أهل كتاب درجوا على أن لا يستفيدوا إلا بالتطويل ولا يقنعوا إلا ببسط الكلام[3].

من خلال ما تقدم يتبين لنا كيف اختلف الخطاب المكي والمدني لاختلاف أحوال المخاطبين وظروفهم ومقاماتهم، فلكل مقام مقال، وهذا ما يؤكد علاقة السياق الخارجي بالمكي والمدني، وأنه لا سبيل لمعرفتهما إلا من خلاله.

2-2-2-3 علم المكي والمدني عند دراز :

اهتم **(دراز)** بموضوع المكي والمدني ،حيث حرص في تفسيره على بيان مكية أو مدنية السور والآيات، وبين موضوعات المكي والمدني بقوله:"... بوجه عام أن السور

---

[1]- محمد قطب: دراسات قرآنية، دار الشروق بيروت، لبنان، ط4، 1403هـ، 1983 م، ص 20 .

[2]- محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، ص 174،175 .

[3]- ينظر: محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن ، ص 179 .

المكية فيها أصول العقائد، وأصول مكارم الأخلاق، والترغيب والترهيب...، والسور المدنية فيها من القوانين المدنية، والقواعد الحربية، وشعائر العبادة، وسائر الشرائع التفصيلية"[1]، كما وضح أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما بقوله" فإن مقاصد القرآن وأهدافه في السور المكية والمدنية واحدة وهي إصلاح العقائد، وتنظيم مناهج السلوك للأفراد و الجماعات، وإنما يفترق المكي عن المدني بالإجمال والتفصيل، وكما لا غنى للقواعد المكية عن رسم طرقها العملية، كذلك لا غنى للفروع عن الاستناد إلى قواعدها الكلية ، والاستمداد من ينابيعها النفسية العميقة، لذلك بني نظم القرآن في آياته وفي سوره على وجه من التداخل، والتعانق بين الاعتقاديات والعمليات والبواعث والزواجر، بحيث يظاهر بعضها بعضا على تقرير كل واحدة منها وتثبيتها في النفوس، ومن هنا كان القرآن– أحسن الحديث – كما وصفه الله ﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ** ﴾ (الزمر/23)[2].

2-2-2-3-1 نماذج تطبيقية عن المكي والمدني عند دراز :

إن المطلع على تفسير **دراز**، يدرك اهتمامه بالمكي والمدني معتمدا في ذلك على السياق الخارجي ، ومن ذلك وقوفه على قوله تعالى﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40)** ﴾(الحج).

يقول **(دراز)**" اختلف العلماء في مدنية سورة الحج من مكيتها، فذهب بعضهم إلى أنها مكية إلا آيات مستثناة، وذهب بعضهم :إلى أنها مدنية إلا آيات مستثناة، وذهب بعضهم: إلى أنها مختلطة فمنها مكي ومنها مدني"[3].

---

[1]– محمد عبد الله دراز: حصاد قلم، ص 49 .

[2]– المصدر نفسه: ص 83 .

[3]– محمد عبد الله دراز: حصاد قلم ، ص 84 .

يرى **(دراز)** أن سياق الآية يؤيد القول بمدنيتها، لان فيها تشريع القتال للذين ظلموا، ومعلوم أن القتال إنما شرع بالمدينة، فكل أية فيها تشريع القتال أو ذكره فهي من القرآن المدني ويستدل على ذلك بالآية ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (25)**﴾ (الحج)، فيقول: هذه الآية دليل على أنها مدنية كما قال في سورة البقرة ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾(217) (البقرة).[1]

يقيس **(دراز)** سياق أية الحج بسياق سورة البقرة المدنية، ويرى أن بينهما تشابها في الموضوع، فكلتاهما تتحدث عن الكفر بالله والصد عن سبيل الله، وهذا يناسب ما كان عليه الحال في المدينة، لذلك حكم **(دراز)** بمدنية سورة الحج.

بهذا يكون **(دراز)** اعتمد على السياق الخارجي للتمييز بين مكية السورة ومدنيتها من خلال موضوع الخطاب الذي يعد عنصرا من عناصر السياق.

كما اعتمد **(دراز)** أيضا على السياق الخارجي في تحديد المكي والمدني، وأعانه على ذلك فهمه له، من ذلك توضيح ما جاء في قوله تعالى ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (93)**﴾ (الأنعام) في هذه الآية الكريمة يرفض **(دراز)** اعتبار أن المقصود هو" مسيلمة الكذاب"، انطلاقا من أن الآية المذكورة هي من سورة الأنعام، وهي مكية فيقول: ويعني

[1]– ينظر : المصدر نفسه، ص 84 .

هذا أن مسيلمة قد ادعى النبوة قبل الهجرة، وهذا غير صحيح، والصواب– والله أعلم– أن مسيلمة لم يدّع النبوة إلا بعد أن وفد على النبي في قومه بني حذيفة بالمدينة سنة تسع للهجرة طامعا في أن يجعل له رسول الله ﷺ الأمر بعده، فلما رجع خائبا ادعى النبوة في قومه[1].

استند **(دراز)** في تفسير هذه الآية على عنصر من عناصر السياق الخارجي، والمتمثل في الزمان وهو أن المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعد الهجرة. وبهذا يكون للسياق الخارجي دور في فهم الآيات القرآنية وتوضيحها.

ومن النماذج التي أوردها **(دراز)** أيضا في معرفة الفرق بين المكي والمدني، ودور السياق الخارجي في ذلك ما جاء في قوله تعالى ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ** (91)﴾ .

يرى **(دراز)** أن الآية مكية فمضمونها يدل على مكيتها واستدل على ذلك بقول **(ابن جرير)**: كان الخبر من أول السورة ومبتدئها إلى هذا الموضع خبرا عن المشركين من عبدة الأوثان ، وكان قوله " وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ "موصولا بذلك غير مفصول منه، لم يجز لنا أن ندعي أن ذلك مصروف عما به موصول إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل" .

كما يرى **(دراز)** أن السياق يدل على إنكار قريش إنزال الكتب من السماء وهذا مستمد من قوله﴿ **إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ**﴾، واليهود لا ينكرون ذلك، بل يؤمنون بأن الله انزل التوراة على موسى والذي ينكر هم العرب[2]، يتبين لنا أن موضوع

[1]– محمد عبد الله دراز: حصاد قلم، ص 85 .

[2] – ينظر: محمد عبد الله دراز: حصاد قلم ، ص 102 .

النص القرآني يختلف باختلاف مكان نزوله، وتحديد المكان يعيننا كثيرا على فهم الظروف والأحوال التي كان يعالجها القرآن الكريم.

يتضح لنا أن ما ذهب إليه **(دراز)** في تحديده للآيات المكية والمدنية، يحسم الموقف، بإدراكه واعتماده على السياق الخارجي، المتمثل في الزمان والمكان وموضوع الخطاب

مما سبق يمكن القول أن اعتماد علماء القرآن والتفسير في تحديد مفهوم المكي والمدني، وعلاماته وضوابطه على اعتبارات سياقية مختلفة، هي إشارات واضحة إلى الانسجام بين النص القرآني وسياقه الخارجي الذي ساهم في فهمه فهما دقيقا.

2-2-3 الخطاب وعلاقته بالمخاطَب :

المخاطَب عنصر من عناصر المقام، وقد أولاه البلاغيون عناية كبيرة ، مما أسموه مراعاة حال المخاطَب ،فكلما كان المخاطَب مختلفا عن سابقه اختلف الخِطاب، لأن الخِطاب يختلف حسب اختلاف الموقف.

والمتأمل في الخطاب القرآني في أسلوبه وبلاغته، يدرك شمولية القرآن لجميع أصناف المخاطَبين على اختلاف أجناسهم وأمكنتهم، كما أن صيغة الخطاب تتغير من صيغة إلى أخرى، والذي يتحكم في ذلك السياق ،يقول **(دراز)**:" والأعجب أنه مع كونه أكثر الكلام افتنانا وتنويعا في الموضوعات، هو أكثره افتنانا وتلوينا في الأسلوب في الموضوع الواحد، فهو لا يستمر طويلا على نمط واحد من التعبير، كما أنه لا يستمر طويلا على هدف واحد من المعاني"[1]، ومثال ذلك ما نجده في الآيات الأولى من سورة البقرة، فبعد أن وصف القرآن الفرق الثلاث" المتقين، الكافرين، المخادعين" وصْفا شافيا، وضرب للناس أمثالهم وبيَّن أن الذين كفروا اتبعوا الباطل، وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم، كان الإخبار عنهم بصيغة الماضي، ليتحول إلى النداء التخاطب في قوله تعالى ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** (21)﴾ (البقرة).

[1]- محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، ص 182 .

يقول **(دراز)**:"...حوّل مجرى الحديث من الأخبار والغيبة إلى النداء والمخاطبة، أتعرف شيئا من سر هذا التحويل؟، إن ذلك الوصف الدقيق الذي وصف به القرآن الطوائف الثلاث (متقين، كافرين، مخادعين) قد نقلهم عند السامع من حال إلى حال، فبعد أن كانوا غيبا في مبدأ الحديث عنهم أصبحوا الآن بعد ذلك الوصف الشافي حاضرين في خيال السامع، كأنهم رأي عين، وفي مكان ينادون منه "[1].

جعل القرآن هذه الأوصاف أمام المخاطب في صورة تؤثر فيه لسماع النداء بالنصح والإرشاد، والغرض من ذلك تهيئة نفس المخاطَب وتشويقه لسماع الحقائق التي يدعو القرآن الناس إليها.

إضافة إلى ذلك نجد الخطاب القرآني يتنوع في الأغراض مراعيا حالة المخاطَب، يقول **(دراز)**:" أولا تراه في معمعة براهينه و أحكامه لا ينسى حظ القلب من تشويق وترقيق، وتحذير وتنفير، وتهويل وتعجيب، وتبكيت وتأنيب؟ اقرأ مثلا قوله تعالى﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ** (178)﴾ (البقرة)، وانظر:[2]

- الاستدراج إلى الطاعة في افتتاح الآية ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا**﴾.
- ترقيق العاطفة بين الواترين والموتورين في قوله ﴿**أَخِيهِ**﴾، وقوله ﴿**بِالْمَعْرُوفِ**﴾، وقوله ﴿**بِإِحْسَانٍ**﴾.
- والامتنان في قوله ﴿**تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ**﴾.
- والتهديد في ختام الآية ﴿ **فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾.

هذه التقلبات في الخطاب غرضها مراعاة أحوال المخاطب، فتحولات الخطاب القرآني نابعة من السياقات المتنوعة لمقاصد الآيات .

---

[1]-المصدر نفسه، ص 215.

[2]- ينظر: محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم المصدر نفسه، ص 146.

2-2-4 الإعجاز القرآني والمقام :

هناك جوانب كثيرة في الخطاب القرآني تشير إلى المقام، فمن بين هذه الجوانب: " الإعجاز القرآني"، ويظهر ذلك في أن الخطاب القرآني هو كلام الله تعالى ،أنزله بكلام عربي مبين وفق معهود كلام العرب في كلامها في الألفاظ والأساليب، يتضمن مقاصد عليا، متنوعة ومختلفة، ولغته بلغت غاية في العلو البياني والبلاغي، بحيث تقف القدرة البشرية عاجزة عن مضاهاتها في شكل من أشكال التحدي والإعجاز، ومنه كان معجزا في أسلوبه وبلاغته، فالإعجاز منهج القرآن الكامل ويعد دليلا كافيا على مصدره الرباني.

للإعجاز القرآني وجوه متعددة، فجميع التحديات الواقعة في القرآن معجزة خارقة من عند الله، والآيات المشتملة على التحدي كثيرة "، وقد سجل التاريخ هذا العجز على أهل اللغة أنفسهم في عصر نزول القرآن، وما أدراك ما عصر نزول القرآن؟ هو أزهى عصور البيان العربي، وأرقى أدوار التهذيب اللغوي"[1]، والغرض من ذلك هو تحدي العرب، فجميع التحديات الواقعة في القرآن معجزة خارقة من عند الله، والآيات المشتملة على التحدي كثيرة ومتكررة في صور شتى: فدعاهم الله أول مرة أن يأتوا بمثله ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآَنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** (88)﴾ (الإسراء) وقوله تعالى ﴿**فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ** (34)﴾ (الطور)، ثم دعاهم أن يأتوا بعشر سور مثله﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (13)﴾** (هود)، ثم أن يأتوا بسورة واحدة مثله﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** (38)﴾ (يونس)، ثم بسورة واحدة من مثله﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ**

[1]- المصدر نفسه ، ص 104.

صَادِقِينَ (23) ﴾ (البقرة)[1]، وأباح لهم في كل مرة أن يستعينوا بمن شاءوا ومن استطاعوا، ثم رماهم والعالم كله بالعجز في غير مواربة ،فقال:﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** (88) ﴾ (الإسراء)، وقال:﴿ **فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24)** ﴾ (البقرة).

يقول **(دراز)**:" فانظر أي إلهاب، وأي استفزاز، لقد أجهز عليهم بالحكم البات المؤبد في قوله ﴿ **وَلَنْ تَفْعَلُوا** ﴾[2]،ويقول أيضا: " فانظر هذا النفي المؤكد، بل الحكم المؤبد، هل يستطيع عربي يدري ما يقول أن يصدر هذا الحكم وهو يعلم أن مجال المساجلات بين العرب مفتوح على مصراعيه ...،ثم لو طوعت له نفسه أن يصدر هذا الحكم على أهل عصره، فكيف يصدره على الأجيال القادمة إلى يوم القيامة، بل على الإنس والجن؟ إن هذه المغامرة لا يتقدم إليها رجل يعرف قدر نفسه إلا وهو مالئ يديه من تصاريف القضاء، وخبر السماء. وهكذا رماها بين أظهر العالم، فكانت هي القضاء المبرم سلط على العقول والأفواه، فلم يهم بمعارضته إلا باء بالعجز الواضح، والفشل الواضح على مر العصور والدهور"[3].

من خلال الآيات السابقة يتضح لنا أن القرآن الكريم قد تحدى الله به المشركين ومن على شاكلتهم أن يأتوا بمثله، وهذا التدرج في التحدي دليل على منتهى التحدي والإعجاز. والقرآن مشتمل على آلاف من المعجزات ،لا معجزة واحدة ،ذلك أنه تحدى من تحدوه، ولا يزال قائما، وسيظل إلى قيام الساعة، ولن يستطيع أحد أن يصمد أمام هذا التحدي والإعجاز.

---

[1] – ينظر: محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، ص 104، 105.

[2]– المصدر نفسه، ص 105.

[3]– محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، ص47، 48.

ومما سبق يمكن القول: إن القرآن الكريم نص ليس كباقي النصوص، ولفهم مقاصده، يقتضي البحث والتنقيب على كل نقطة لها علاقة بالمقام، فالمقام له دور كبير في إبراز معاني القرآن من عدة زوايا، الداخلية والخارجية، فالداخلية من خلال دراسة تغير الدلالات للمفردات والآيات القرآنية في سياقها الداخلي للنص، أما الخارجي فيمكن البحث عنه من خلال أسباب نزول القرآن في مكة والمدينة ونوع الخطاب الموجه للمخاطب.

ولفهم الخطاب القرآني عموما لا يكفي أن نقف عند السياق الداخلي فحسب، وإنما تشاركه عوامل أخرى خارجية تعمل على كشف دلالته ومقاصده ، أي حال ومقام الخطاب، فكل خطاب له زمان ومكان صياغته، وهذا سبب أساسي ليكون المقام من أهم العوامل التي تساعد على فهم مقاصد الخطاب القرآني.

خاتمة

بعد هذا المشوار الطويل والممتع في جهود محمد عبد الله دراز، ومؤلفاته القرآنية، يمكن تسجيل أهم النتائج التالية:

*أثبت البحث أن: "محمد عبد الله دراز" كان على وعي تام بوحدة النص القرآني، وأنه استطاع أن يوظف الكثير من آليات الترابط النصي في تفسيره، وقد حاولت الدراسة– في ضوء لسانيات النص– استنباط هذه الآليات وإثبات أن دراز لم يكن غافلا عنها، بل قد تجاوزها إلى آليات ووسائل أخرى، لم يتطرق إليها علماء لسانيات النص.

*التراث العربي غني بالعديد من الممارسات النصية، التي تستعمل العديد من المصطلحات: كالانسجام، الالتحام، الترابط، السياق...، التي تعد من صميم البحث النصي ، وهذا ما أدى إلى وجود تقاطع بين اللسانيات النصية والدراسات العربية .

*ظهر من خلال البحث أن ما قاله المفسرون عن التماسك النصي، وأثبته دراز في تفسيره لا يختلف عما توصل إليه علماء لسانيات النص.

*يتحقق الانسجام النصي بالاعتماد على عدة مبادئ منها: موضوع الخطاب، التغريض، ترتيب الخطاب، المناسبة، العلاقات الدلالية.

*أدرك دراز أن لكل سورة قرآنية موضوعا عاما يتعلق أوله بآخره، وآخره بأوله ، ويترامى بجملته على غرض واحد في السورة القرآنية،.

*براعة الاستهلال وافتتاحية السورة عند المفسرين، تقارب مصطلح التغريض عند علماء النص.

*عالج دراز قضية ارتباط النص القرآني، من خلال العلاقات الدلالية، وكذا علم المناسبات الذي يمثل أحسن تمثيل لقضية التماسك النصي، وقد تنوعت اهتماماته في هذا المجال .

*لفهم النص/ الخطاب فهما دقيقا، ينبغي النظر إليه من زوايا مختلفة، وما المقام والسياق إلا زاوية من هذه الزوايا لا تقل أهمية في فهم مقاصد النص القرآني .

*اعتمد دراز في تفسيره على السياق بنوعيه الداخلي والخارجي، والعلاقة التكاملية بينهما، في بيان دلالة النصوص القرآنية وإيضاح معانيها.

*إن الحديث عن أسباب النزول وعن المكي والمدني، حديث عن سياقين؛ فبالأول: يتمكن المتلقي من معرفة العلاقة بين القرآن والواقع الخارجي الذي هو سبب نزوله، وبالثاني: يتمكن المتلقي من استيعاب السياق التاريخي والاجتماعي.

قائمة المراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم .

- **الكتب :**

1- إبراهيم خليل ، الأسلوبية ونظرية النص ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 (1997).

2- أحمد عفيفي ، نحو النص ، اتجاه جديد في الدرس النحوي ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2001 .

3- الأزهر الزناد : نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ،1993 .

4- أبو إسحاق إبراهيم محمد الشاطبي : الموافقات في أصول الأحكام ، تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، السعودية ج4 ، 1417 هـ ، 1997 .

5-أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي : الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة ط2 ، 1419 هـ، 1998م.

6- الباقلاني أبي بكر محمد بن الطيب (ت 403هـ) : إعجاز القران ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط3 ، ص205 .

7- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي : البرهان في علوم القران، تحقيق ابي الفضل الدمياطي، دار الحديث ،ج1 ، 2006م .

8- برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت885هـ) : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،ج2 ، ط1 ، 1995 .

9- برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي : مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ، تحقيق عبد السميع محمد احمد حسنين ، الطبعة الاولى ، الرياض ، مكتبة المعارف ،ج1، 1987 م.

10- تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، د ط ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1994.

11- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد رمزي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د ط، ج1 2005.

12- جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي : لباب النقول في أسباب النزول ، مؤسسة المختار ، ط1 ، لقاهرة ، 1724هـ ، 2006 م.

13- جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري المتوفى (711 هـ) : لسان العرب مادة ضبط وتعليق خالد رشيد القاضي ، دار الأبحاث ، الجزائر ، ج 14 /15 ، ط1 ، 2010 .

14- جمعان عبد الكريم : إشكالات النص ، دراسة لسانية ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، الدار البيضاء ، 2009 .

15- جوليان براون وجورج يول : تحليل الخطاب ، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي ، النشر العلمي والمطابع ، السعودية ، 1997 .

16- جون لاينز : اللغة والمعنى والسياق ، ترجمة عباس صادق الوهاب ، مراجعة يوئيل عزيز ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العراق ، ط1 ، 1987.

17- حازم القرطاجني (ت684هـ) ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب بلخوجة ، دار العرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1981 .

18- خليل بن ياسر البطاشي : الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، ط1 ، عمان ، دار جرير، 2009 .

19- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي : دلالة السياق ، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية ، ط1 ،1424 هـ .

20- روبرت دي بوجراند: النص والإجراء والخطاب، ترجمة تمام حسان ، عالم الكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 1418هـ، 1998م .

21- ستيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة ، ترجمة كمال محمد بشر ، مكتبة الشباب ، ط1 ، القاهرة ، 1992 .

22- سعد عبد العزيز مصلوح : نحو أجرومية للنص الشعري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

23- سعيد حسن بحيري : علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات ، مكتبة لبنان ناشرون ، لبنان ،ط1 ، 1997 .

24- صبحى إبراهيم الفقي علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ،دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة ،ج1، 2000 .

25- صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن ، دار العلم للملايين، بيروت، ط 10 ، 1977.

26- عزة شبل : علم لغة النص النظرية والتطبيق ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 2009.

27- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني : معجم التعريفات ، تحقيق محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ،816 هـ ، 1413 م .

28- عمر أبو خرمة : نحو النص ، نقد نظرية وبناء أخرى ،عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، إربد ، الأردن ، 2003 .

29- فان دايك : النص والسياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، ترجمة عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق ، بيروت ، لبنان ، 2000م .

30- أبو القاسم محمود بن أحمد الزمخشري جار الله : (ت 538هـ) ،أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ، ط1، ج1، 1998.

31- ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم (213-296هـ): تأويل مشكل القران، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة مصر، ط2، 1973 .

32- قطب الريسوني : النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر ، منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، المملكة المغربية ، ط1، 2010 .

33- محمد الأخضر الصبيحي ، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه ،الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، 2008 .

34- محمد حماسة عبد اللطيف : النحو والدلالة ، مدخل لدراسة المعنى النحوي – الدلالي ، دار الشروق ، ط1، 1420هـ،2000م.

35- محمد خطابي : لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ، 1991.

36- محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس ، ج1، د ط ، 1984.

37- محمد عبد الباسط عيد: النص والخطاب ، قراءة في علوم القرآن ، تقديم صلاح رزق ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1، 1430هـ ، 2009 م.

38- محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ، تحقيق فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان، ج1 ، ط1 ، 1415هـ ، 1995.

39- محمد عبد الله دراز : حصاد قلم ، جمع وإعداد وتحقيق احمد مصطفى فضيلة ، ترجمة عبد الستار فتح الله سعيد ، دار القلم للنشر والتوزيع ، القاهرة مصر ، ط1 ، 2004.

40- محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن ، تحقيق وتعليق عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 10 ، 1393هـ ، 1973 م .

41- محمد عبد الله دراز ، النبأ العظيم ، نظرات جديدة في القرآن ، اعتنى به وخرج أحاديثه عبد الحميد الدخاخني ، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1 ، الرياض السعودية ، 1417 هـ 1997 م .

42- محمد علي التهانوي : موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تحقيق علي دحروج ، مكتبة ناشرون ، لبنان ، ج2 ، ط1 .

43- محمد العمري: البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، افريقيا الشرق، بيروت لبنان، 1999 .

44- محمد قطب : دراسات قرآنية ، دار الشروق بيروت ، لبنان ، ط4 ، 1403هـ ، 1983 م.

45- محمد يوسف موسى : الرسالة للإمام الشافعي ، الهيئة المصرية العالمية للكتاب ، مكتبة الأسرة ، 1995 .

46- مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ، مكتبة وهبة ،ط7 ،د ط .

47- نعمان بوقرة : المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ، دراسة معجمية ، جدار الكتاب العلمي ، عمان (الأردن) ، ط1 ، 2009 .

- **المجلات والبحوث**

48- تمام حسان : قرينة السياق ، بحث مقدم في الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم ، مطبعة عبير للكتب ، ط1 ، القاهرة ، 1993 .

49- عادل رشاد غنيم : المنهج السياقي و أثره في تطوير دراسات التفسير ، بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية ، 1424 هـ ، 2013 م ، المملكة العربية السعودية .

50- عبد الرحمن بودرع ، في لسانيات النص وتحليل الخطاب نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم ، بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية ، 1424هـ ، 2013م .

51- عبد الرحمان بودرع : منهج السياق في فهم النص ، سلسلة كتاب الأمة ، الدوحة ، العدد 111 ، 2006 .

52- مسعود صحراوي : المنح الوظيفي في التراث اللغوي العربي ، مجلة الدراسات اللغوية ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، المجلد 5 ، العدد1

- **المذكرات والرسائل الجامعية**

53- تهاني بنت سالم بن أحمد باحويرث : اثر دلالة السياق في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني ، دراسة نظرية تطبيقية على آيات قصص الأنبياء ، رسالة مقدمة لنيل درجة ماجستير 2007 .

54- محمد عرباوي : دور الروابط في اتساق وانسجام الحديث القدسي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في اللسانيات العامة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011.

55- نوال لخلف ، الانسجام في القران الكريم ، سورة النور أنموذجا ، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربي ، جامعة الجزائر ، 2006 / 2007 .

فهرس المحتويات

الفهرس

العناوين	الصفحة
إهداء :	
شكر وعرفان :	
مقدمة	**أ.ب.ج.د**
مدخل : لسانيات ما بعد الجملة	**07**
تمهيد	**07**
- النص بين التراث العربي والدراسات الحديثة	**08**
– النص في التراب العربي	**08**
– النص في الدراسات النصية الحديثة	**09**
2– الإسهامات النصية في التراث العربي	**12**
عند النقاد	**12**
عند اللغويين	**14**
عند المفسرين	**15**
الفصل الأول : الانسجام بين لسانيي النص والمفسرين	**19**
أولا: مفهوم الانسجام	**19**
لغة	**19**
عند علماء لسانيات النص	**19**
ثانيا: مظاهر الانسجام النصي	**20**
-موضوع الخطاب	**21**
عند علماء النص	**21**
عند علماء القرآن والمفسرين	**21**
عند محمد عبد الله دراز	**22**
نماذج تطبيقية عن موضوع الخطاب	**24**
-التغريض	**29**

عند علماء النص	**29**
عند علماء القرآن	**30**
عند محمد عبد الله دراز	**32**
-ترتيب الخطاب	**34**
عند علماء النص	**34**
عند محمد عبد الله دراز	**35**
-علم المناسبة	**37**
مفهوم علم المناسبة	**37**
فائدة علم المناسبة	**37**
علم المناسبة وتقاطعه مع الدرس اللساني النصي الحديث	**38**
المناسبة عند محمد عبد الله دراز	**39**
-العلاقات الدلالية	**45**
عند علماء النص	**45**
عند محمد عبد الله دراز	**45**
الفصل الثاني : انسجام النص بين سياق المقال وسياق الحال	**53**
تمهيد	**53**
أولا: مفهوم السياق	**53**
عند علماء التراث	**53**
السياق في الدرس اللساني الحديث	**53**
السياق القرآني	**55**
ثانيا: أنواع السياق	**57**
1- السياق الداخلي	**58**
مفهومه وأهميته	**58**
مظاهره	**59**
*سياق المفردة	**59**

*سياق التركيب	61
2- السياق الخارجي	**63**
مفهومه وأهميته	63
مظاهره	65
*أسباب النزول	65
مفهومه وأهميته	65
علاقة أسباب النزول بالسياق	66
اسباب نزول القرآن عند محمد عبد الله دراز	67
نماذج تطبيقية عن أسباب النزول	69
*علم المكي والمدني	73
مفهومه وفائدته	73
المكي والمدني وعلاقته بالسياق	75
علم المكي والمدني عند محمد عبد الله دراز	77
نماذج تطبيقية عن المكي والمدني عند محمد عبد الله دراز	77
*الخطاب وعلاقته بالمخاطب	80
*الإعجاز القرآني	82
خاتمة	**86**
قائمة المصادر والمراجع	**89**
الفهرس	**96**
الملحق	**100**
ملخص	**105**

الملاحق

ترجمة العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز ولادته و نشأته:

محمد عبد الله دراز علم شامخ من أعلام الفكر الإسلامي المعاصر البارزين في مصر في القرن الرابع عشر الهجري ، نشأ في بيت عامر بالتقوى والصلاح ، والعلم والعرفان ، كانت ولادته في قرية محلة دياي في محافظة كفر الشيخ في الثامن من شهر نوفمبر سنة 1894م ، نشأ في بيت عامر بالتقوى والصلاح ،ومن الصغر بدت عليه علامات النباهة والذكاء؛ فحفظ القرآن الكريم وهو في العاشرة من عمره ،وتفوق على أقرانه في مجالات العلوم، والتي تفتحت عيناه أولا عليها في بيت والده.

مسيرته العلمية :

بعد أن نشأ دراز في أسرته الإيمانية العلمية، فكان إلى جانب تفرغه لحفظ القرآن الكريم، التحق في المراحل الابتدائية للتعليم الشرعي والمدني، وحاز على الشهادة الثانوية بالمعهد الديني بمدينة الإسكندرية، حصل على الشهادة العالمية النظامية سنة 1916م، عين مدرسا عقب تخرجه بمعهد الإسكندرية الديني، درس الفرنسية في المدارس الليلية، حتى كان أول الناجحين في شهادة القسم العالي منها سنة 1919، اختير للتدريس بالقسم العربي في الأزهر الشريف سنة 1928م، صنف فضيلته كتابه " المختار من كنوز السنة " سنة 1932 م عندما عهد إليه بتدريس مادتي التفسير والحديث في كلية أصول الدين، أشرف على طباعة تعليق والده على كتاب " الموافقات للشاطبي "، استمر على ذلك في التدريس والتأليف لبعض المؤلفات ككتاب " النبأ العظيم " في محاضراته في تفسير القرآن الكريم سنة 1933م، وبعدها اختير – بناء على ترشيح جامعة الأزهر – في بعثة علمية دراسية نحو جامعات أوروبا سنة 1936 م رفقة ستة من شباب الأساتذة المدرسين في الكليات؛ وكان لدراز شرف ضمن عضوية البعثة الفرنسية، فمكث هناك أزيد من عشر سنوات وتحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون بفرنسا في رسالته الشهيرة:" دستور الأخلاق في القرآن.

نشاطاته ووظائفه :

لما حقق دراز مهمته التي تحمل بسببها – وعائلته – ويلات الحرب العالمية الثانية ، رجع إلى مصر ليضطلع بمهمات ووظائف كثيرة وشاقة : انتدب لتدريس علم التاريخ والأديان بجامعة القاهرة سنة 1948، وتدريس علم الأخلاق ، وتدريس التفسير في كلية اللغة، ونال عضوية جماعة كبار العلماء اعتبارا من عام 1949 م ، وكانت له نشاطات واسعة أثناء إقامته بفرنسا ، فقد أسهم بفعالية في أنشطة نوادي التهذيب ، التي اهتمت بتعليم اللغة العربية ونشر مبادئ الإسلام ، شارك دراز في الأنشطة الثقافية والدعوية في باريس ، هذا وقد مثل مشيخة الأزهر في العديد من المؤتمرات الدولية ، فمنها كلمته عن السلام والإسلام في مؤتمر الأديان بباريس سنة 1939 م ، وكانت آخر المؤتمرات التي مثل فيها الأزهر مؤتمر الأديان العالمي في لاهور بباكستان سنة 1958م ، وكان بحثه الذي قدم حول " موقف الإسلام من الأديان الأخرى وعلاقته بها " .

مكانته ومؤلفاته العلمية :

لقد كان محمد عبد الله دراز – كما قيل – نمطا ممتازا عرفه الناس بتفرده العلمي مؤلفا ومحاضرا و أستاذا ، له مزايا علمية وجهاد علمي فريد ، اتسم دراز بغزارة المعرفة ، واتساع الثقافة ، أتاحت له الدراسة المعمقة لكل من الثقافة الإسلامية ، والثقافة الغربية ، تنوعت مؤلفات دراز منهجا وتأليفا ، فبعضها كان تأليفا علميا خالصا ، فرضته المنهجية العلمية في إعداد الرسائل الأكاديمية ، أو في تقديم الدروس والمحاضرات ، وذلك حال بعض مؤلفاته " دستور الأخلاق في القرآن الكريم " و" مدخل إلى القرآن الكريم " و " النبأ العظيم " و " الدين " و بعض المقالات العلمية التي أغلبها ألقاها في المؤتمرات الدولية " نظرية الربا في الإسلام ، وموضوع " الإسلام والسلام العالمي " ، وموضوع " موقف الإسلام من الأديان الأخرى وعلاقته بها " ، أما باقي المؤلفات والمقالات كانت خواطر قرآنية ، وتأملات إسلامية ، نشر بعضها في أحاديثه الإذاعية عبر أثير إذاعة القاهرة

آنذاك كفصول كتابه " زاد المسلم للدين والحياة " ، وفصول كتابه " حصاد قلم " ، و كتاب دراسات إسلامية " ، وكتاب " الميزان بين السنة والبدعة " ، وكتاب " من كنوز السنة " .

وفاته :

استمر فضيلته في نشاطاته المختلفة في معالجة الشؤون الإسلامية حتى وفاه الأجل في جانفي 1958 م ، عندما كان في لاهور بباكستان ممثلا لمصر في الندوة العالمية للأديان ، إثر سكتة قلبية مفاجئة ، ففقد العالم الإسلامي بوفاته مثلا للعالم الأزهري ، الغيور على دينه ، المحافظ على كرامته ، الداعي إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة .رحمه الله وغفر له .

نبذة عن كتاب " النبأ العظيم " :

كتاب " النبأ العظيم : نظرات جديدة في القرآن " ، لمؤلفه محمد عبد الله دراز ، الكتاب عنونه صاحبه بعنوان أساسي " النبأ العظيم " وعنوان فرعي " نظرات جديدة في القرآن " ، ولعل العنوان الأول ينبئ عن الأهمية القصوى لموضوع الكتاب ، فالكتاب في أصله عبارة عن محاضرات ألقاها المؤلف على طلابه بكلية أصول الدين بجامع الأزهر ، ففي هذا الكتاب عرف بالقرآن معرفة عميقة وتتبع مراحل نزوله ، وميز بينه وبين شخصية النبي ﷺ ، لغة وفكرا ، وتتبع بالنقد الشبهات الثائرة له، ثم شرع في تفصيل مستويات الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، ثم بين خصائص الأسلوب القرآني التي يستحيل ورودها في لغة البشر ، ثم أوسع الحديث عن الإعجاز على مستوى السورة في وحدتها وتعانق مقاطعها وعمق معانيها ، ثم قدم لذلك نموذجا مصدقا في أطول سورة من القرآن " سورة البقرة " فعرض حلقتها بنظرة كلية ، فجعل منها وحدة مترابطة ، أفردها دراز في مقدمة وأربعة مقاصد وخاتمة .

نبذة عن كتاب " حصاد قلم " :

كتاب حصاد قلم : يعتبر بحق من أنفس ما كتبه الشيخ محمد عبد الله دراز، والكتاب نفيس معنى ومبنى ، إذ جمع دقة البحث وعمق التحليل وجمال الأسلوب ، ففي هذا الكتاب تناول دراز مجموعة من المباحث المهمة حول علوم القرآن الكريم ، وكنوز التفسير الذي قدم فيه تصورا للقرآن في وحدته كبناء محكم ، متماسك الأجزاء والسور مع نماذج تطبيقية لسور قرآنية كثيرة ، حيث فسرها تفسيرا موضوعيا بديعا ، كما قدم مباحث مهمة من كنوز السنة بيَّن فيها مكانة السنة النبوية الشريفة من القرآن والفكر الإسلامي ، وتعظيم المسلمين لها ، وتفنيد شبهات الأعداء في ترك الاحتجاج بها ، وبين منزلتها من أصول الدين ، و شرح بعض الأحاديث النبوية ذات الصلة بالقيم الأخلاقية ، وكيفية تكوين المجتمع الصالح ، أما القسم الأخير من الكتاب فكان عبارة عن كلمات مضيئة وخواطر إيمانية مشرقة كتبها دراز وهو طالب بالقسم الثانوي ، وصبغها بلون من الأدب الديني الرشيد الذي دل على نبوغه المبكر ، وهذه الخواطر عبرة نافعة وموعظة تهتدي القلوب وتسلم العقول من الزيغ والضلال .

ملخص الدراسة

ملخص الدراسة:

تعتبر لسانيات النص من الحقول المعرفية الجديدة، التي أخذت حيزا مهما في مجال الأبحاث اللغوية الحديثة، ولعل تزايد الاهتمام بها راجع إلى اهتمامها بظواهر لغوية أهملتها لسانيات الجملة، وهذه الدراسات التي تهتم بالنص نجد لها مثيلا عند المفسرين.

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على مدى مساهمة علماء التفسير في رسم معالم الدرس اللساني ، وذلك بتسليط الضوء على جهود محمد عبد الله دراز ،والبحث في أهم المنطلقات والأسس المعرفية التي ارتكزت عليها جهوده ، وبسط المقولات والإجراءات التي مكنته من الوصول إلى مختلف الآليات، التي تضبط تماسك النص القرآني وانسجامه، ومن أهم الركائز التي اعتمد عليها: وحدة الموضوع، المناسبة، ومختلف العلاقات التي انتظمت بها أجزاء النص القرآني وتلاحمت، دون إغفال دور السياق في ذلك.

وقد تبين لنا بأن هذه الآليات تُظهر بشكل جلي تمثله الواضح للنصية بشكل عام ولبعض القضايا التي تناولتها لسانيات النص.

Study summary:

Text linguistics is considered one of the new fields of knowledge, which has taken an important place in the field of modern linguistic research.

This study aims to stand on the extent of the contribution of scholars of interpretation in drawing the features of the linguistic lesson, by highlighting the efforts of Muhammad Abdullah Daraz, and searching for the most important starting points and cognitive foundations on which his efforts were based, and extending the statements and procedures that enabled him to reach the various mechanisms that control The coherence and harmony of the Qur'anic text, and among the most important pillars on which it relied: the unity of the topic, the appropriateness, and the various relationships in which the parts of the Qur'anic text were organized and coherent, without neglecting the role of the context in that.

We have found that these mechanisms clearly show its clear representation of textuality in general and some of the issues dealt with in textual linguistics.